الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري

حاضر
اللغة العربية

مع الترجمتين الإنجليزية والفرنسية

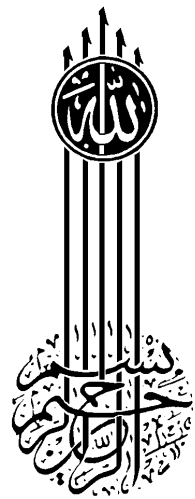
بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع القانوني : 2013 MO 1294
ردمك : 978-9981-26-576-9

التصفيف والتوضيب والسحب في مطبعة الإيسيسكو
الرباط - المملكة المغربية

الفهرس

مقدمة 7

حاضر اللغة العربية : 11

ملامح من الأزمة اللغوية 13

انعكاس أوضاع التعليم على اللغة 15

اللغة العربية في الإعلام الأجنبي 17

الغزو اللغوي أخطر من الغزو الثقافي 19

الحرب الثقافية والإعلامية ضدّ اللغة العربية 21

العامل التجاري في نشر اللغة 23

تجديد اللغة العربية 25

الفصحى المعاصرة 28

في مشاكل اللغة العربية : عود على بدء 29

اللغة جزء من كيان الأمة 31

جذور مشاكل اللغة العربية 33

تيسير النحو 34

رأي حصيف للشيخ محمد الفاضل ابن عاشور 39

اللغة العربية تستعيد مكانتها 40

نحو جمع لغوي جديد 43

ضعف مستوى المعلم ينعكس على ضعف اللغة 44

الفساد اللغوي 46

العجز عن التكيف مع متطلبات الواقع 51

ملاحق :

اليوم العالمي للغة العربية 55

اليوم الدراسي للإيسيسكو حول اللغة العربية 62

مقدمة

اللغة هي عنوان أيّ أمّة واللسان الناطق بهويتها ، والمعبر عن خصوصياتها والمجسّد لمقوماتها الفكرية والمعرفية . واللغة العربية هي جوهر الذاتية الخاصة للأمة العربية الإسلامية ، والعنصر الرئيس في البناء الثقافي والحضاري الذي رفعت الأمة صروحَه عبر الزمان . ولذلك كان التفريط في هذا الجوهر ، تفريطاً في هذا العنصر الذي هو من أهم مقومات الأمة ، بعد الإسلام دين اللَّه الخالد ، الذي أنزل اللَّه تعالى كتابه الحكيم باللسان العربي المبين ، واختار رسوله الكريم محمداً بن عبد اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، من خير أهل هذه اللغة التي شرّفها اللَّه وميّزها بين لغات العالم ، فكانت ، ولا تزال وستبقى دائماً ، لغة الفصاحة والبلاغة والمورد العذب المتدفّق ، وكان في الحفاظ على هذه اللغة صونٌ للهوية ، وحفظٌ للكيان ، واستمرار لفهم الميراث المعرفي الحضاري الثمين الذي تناقلته الأجيال وأضافت إليه في مجالات الحياة المختلفة .

ولقد علمنا التاريخ الثقافي والحضاري للأمم والشعوب ، أن في ازدهار اللغة ازدهاراً للحياة العقلية ، وتقدماً في مضمار العلوم والفنون والآداب ، وأن في قوة اللغة قوةً للأمة الناطقة بها ، وأن اللغة تكتسب قوتها من إبداع أهلها بها ، ومن تفوقهم في هذا الإبداع الذي يشمل نواحي الحياة العامة . وبعكس ذلك يكون في ضعف اللغة ضعفٌ للأمة الناطقة بها ، ويسري هذا الضعف إلى مفاصل المجتمع ، وإلى مرافق الحياة

جميعاً ، فيكون التراجع الذي قد يؤدّي إلى العجز الثقافي والحضاري وجمود الحياة .

ولقد جرى على اللغة العربية ما جرى على لغات أخرى ، إذ تراجعت وأصابها الضعف والهزال عبر أحقاب متطاولة ، إلى أن دبت فيها الحياة مع الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، حين نشطت حركة التأليف باللغة العربية بعد ركود طال قروناً ، وتأسست المطابع وصدرت الجرائد والمجلات ، ونشرت مؤلفات باللغة العربية في مختلف فروع الثقافة ، وظهرت معاجم عربية ، وبدأت مع مطلع القرن العشرين تجربة نشر دوائر المعارف ، وأنشئت الجامعات بعد إنشاء المدارس ، ثم أعقب ذلك كله تأسيس المجامع اللغوية التي تعنى بتطوير اللغة العربية وتطويعها لتستجيب لمتطلبات النمو الذي تعرفه المجتمعات العربية ، هذا فضلاً عن اتساع رقعة الاهتمام باللغة العربية خارج ديارها من قبل الشعوب الإسلامية المرتبطة دينياً بلغة القرآن الكريم ، ومن طرف دوائر الاستشراق ، ومعاهد البحوث والدراسات والجامعات التي بها أقسام تعنى بلغة العرب وبتراث المسلمين ، بغض النظر عن الدوافع التي تكمن وراء تلك العناية . وبذلك ازدهرت سوق اللغة العربية فعرفت نمواً مطرداً وتطوراً متواصلاً وانتشاراً واسعاً .

ومع تصاعد حركة العناية باللغة العربية ، وتنامي الإنتاج الأدبي والثقافي والعلمي بها ، وانتشار التعليم والصحافة والإعلام الناطق بالعربية داخل العالم العربي وخارجه ، وتزايد أعداد الدارسين لها من غير العرب في أصقاع شتى من الأرض ، استرجعت لغة الضاد جزءاً مهمّاً من مكانتها في المجتمعات العربية والإسلامية ، بصورة عامة ، حتى أصبحت إحدى اللغات العالمية الست المعترف بها في منظومة الأمم

المتحدة ، وصدر قرار من منظمة اليونسكو في شهر أكتوبر 2012م ، بإعلان اليوم الثامن عشر من شهر ديسمبر سنوياً ، يوماً عالميًا للغة العربية . وهذا مكسبٌ عظيمٌ نالته لغتنا ، وفوزٌ كبيرٌ ظفرت به على الصعيد العالمي ، مما يلقي عل عاتقنا مسؤولية جديدة ، هي مضاعفة الجهد في الحفاظ على قوة اللغة العربية وحيوتها وقدرتها على مواكبة متغيّرات العصر ، وعلى تعزيز مكانتها وإثبات حضورها ، ليس في العالم العربي الإسلامي فحسب ، بل في العالم أجمع ، وعلى النهوض بها على جميع المستويات لتستأنف الدور المؤثر النابض بالحياة الذي قامت به في إغناء الحضارة الإسلامية التي كانت مصدرًا لتطور الحضارة الإنسانية المعاصرة .

ولقد كتبت هذين البحثين اللذين أنشرهما اليوم ، وعرضتهما من قبل في المؤتمر الثامن والسبعين (2012) والمؤتمر التاسع والسبعين (2013) لمجمع اللغة العربية في القاهرة الذي أشرف بالانتساب إليه ، ساعيًا إلى دراسة واقع اللغة العربية في المجتمعات العربية ومعالجة المشاكل اللغوية وبحث أسبابها والعوامل المحركة لها ، بقدر من التركيز مع التحليل والتأصيل ، مراعيًا الاختصار الذي تقتضيه طبيعة العروض التي تلقى أمام المجمع .

وكنت قد نشرت من قبل (2004م) كتاباً عن "**مستقبل اللغة العربية**" مترجماً إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، كما نشرت أيضاً كتاباً (2008م) عن "**اللغة العربية والعولمة**"مترجماً إلى هاتين اللغتين . ويمكن للباحثين المتخصصين أن يربطوا بين الكتب الثلاثة ضمن سياق واحد ، ليجدوا أن القضية الأساس التي تجمع بينها هي إثبات جدارة اللغة العربية لتكون لغة الحياة ولغة الحاضر والمستقبل ، تتعامل مع تيارات العولمة وتواجه تحدّيات الحداثة ، من دون أن تفقد خصوصياتها أو تفرط في مقوماتها .

ورغبة مني في تعميم الأفكار التي تتضمنها هاتان الدراستان اللغويتان ، فقد حرصت على ترجمتهما إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، ونشرهما باللغات الثلاث في هذا الكتاب .

واللَّه الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري
المدير العام للمنظمة الإسلامية
للتربية والعلوم والثقافة

حاضر اللغة العربية

ملامح من الأزمة اللغوية :

يكشف هذا البحث ملامح من الأزمة اللغوية التي يعيشها العرب في هذه المرحلة من تاريخهم. فالمفروض أن يكون وضع اللغة العربية في المجتمعات العربية واضحاً بيناً ومسألة مفروغاً منها، لا تبحث ولا تناقش، ولا تكون موضع تساؤل أو دراسة. ولكن الواقع الحالي ينطق بأن المجتمعات العربية، على اختلاف تنوعاتها، تشترك في التهميش للغة العربية وعدم الاهتمام بها باعتبارها عنواناً للهوية ووعاء للفكر وللثقافة، وأحياناً يصل الأمر إلى معاداتها والإساءة إليها والتطاول عليها والسعي الحثيث للإضرار بها، ومحاربة من يحافظ عليها، ويتمسك بها، ويصدُّ عنها هجوم الكائدين لها الحاقدين على أهلها.

تلك ظاهرة غريبة لا نكاد أن نجد مثيلاً لها في المجتمعات الإنسانية، سواء في هذا العصر أو في العصور السابقة، فالاختلاف وتعدد الموقف إزاء لغة من اللغات، يكون مصدرهما دائماً، من لغة إلى أخرى، وليس من أصحاب اللغة الواحدة تجاه لغتهم المشتركة. فلم يحدث أن اختلف قوم في الموقف الذي يتخذونه من لغتهم بهذا القدر من الحدّة ومن التباين أيضاً، الذي يطبع موقف المجتمعات العربية من لغتها الأم، وإن لم يكن على مستوى القطيعة الكلية؛ لأن الضعف في الإحساس بالانتماء إلى اللغة العربية، مهما يكن حجمه، يعزل المرء عن محيط هويته، ويترك انتماءه الثقافيَّ والحضاريَّ عرضةً للاهتزاز، إن لم يكن للذوبان. وهو الأمر الذي يتبيَّن منه وجود أزمة على مستوى اللغة باعتبارها وعاء للفكر وللثقافة ووسيلة للتواصل البشري، وعلى

مستوى المجتمع الذي ينتمي أفراده إلى هذه اللغة. فلولا أن ثمة علة تنشأ عنها هذه الأزمة بشقّيْها، لما تعددت المواقف من اللغة العربية واختلفت وتباينت على النحو الذي نشاهده في العالم العربي، ولما نتج عن ذلك كله أزمة لا نتردد في أن نصفها بالأزمة الحضارية التي لها انعكاسات سلبية وآثار خطيرة على مجمل الأوضاع في البلدان العربية.

ولعلَّ التأمل العميق في الأسباب التي أدّت إلى بروز هذه المشكلة التي نرى أنها ترقى إلى درجة الأزمة، أن يضعنا أمام الصورة الحقيقية لهذه المسألة اللغوية ذات الصلة بالوجود الثقافي والحضاري للأمة العربية الإسلامية بشكل عام.

إنَّ السبب الأول الذي ندرك أنه من وراء نشوء هذه المشكلة، هو الضعف العام الذي يسري في كيان الأمة، فيتركها فاقدةً للقدرة على أن تحافظ على خصوصياتها، وتحمي كيانها، وتذود دون ثوابتها ومكتسباتها وحقوقها ومصالحها. وإن مردَّ هذا الضعف العام الذي ينهش جسد الأمة العربية الإسلامية، ليس دائمًا إلى العوامل الخارجية التي تُختزل في الاستعمار بأنواعه، ولكنه يعود في الوقت نفسه، إلى العوامل الداخلية، سواء تلك العوامل التي ترجع إلى غياب التخطيط العلمي لشؤون المجتمعات العربية، وإلى سوء الأحوال العامة فيها في الغالب الأعم، أو العوامل الذاتية التي تنبع من الفرد تحت وطأة تأثير المجتمع والبيئة والمناخ الثقافي والوضع التعليمي. فليس صحيحًا بأي حال من الأحوال، أن نردّ الأسبابَ كلَّها التي انتهت بالأمة إلى واقعها الحالي المعيش، إلى العوامل الخارجية من دون أن نربطها بالعوامل الداخلية. وجميع هذه العوامل سارية المفعول إلى يومنا هذا، ولم ينقص تأثيرها في إضعاف الأمة، إن لم يكن قد زاد. وهو الأمر الذي

يترتَّب عليه ضعف شديد في الشعور بالانتماء اللغوي، مما يتولَّد عنه قلة الاكتراث بالمسألة اللغوية عمومًا، ويتسبَّب في نشوء هذه الأزمة اللغوية الحضارية المهددة لاستقرار المجتمعات العربية.

ويأتي الضعف المتراكم الذي تعرفه أوضاع التربية والتعليم في غالبية الدول العربية، والذي يشمل جميع المراحل التعليمية، في المرتبة الثانية ضمن الأسباب الموضوعية لهذه الأزمة اللغوية. ذلك أن موقع اللغة العربية في البرامج التعليمية، من رياض الأطفال إلى الجامعات، لا يرقى إلى مستوى المكانة التي يجب أن تتبوأها هذه اللغة، وهو ما يؤدي إلى تنشئة أجيال من خريجي المدارس والجامعات والمعاهد العليا، صلتها باللغة العربية ضعيفة بوجه عام، وذلك لأسباب منهجية وهيكلية، وهي ذات الأسباب التي تُفقد المنظومة التعليمية بصورة عامة، أهمَّ مقوماتها وتجعلها مفككة وقاصرة عن إحداث التغيير المطلوب في المناهج والبرامج والأنظمة.

انعكاس أوضاع التعليم على اللغة :

إنَّ الحالة التي وصل إليها التعليم في أغلب دول العالم العربي، من حيث الضعف وقلة الجودة ومحدودية الأثر، تنعكس سلبًا على حالة اللغة العربية اليوم، وعلى موقف المجتمعات العربية إزاءها. فهناك تلازم مطرد بين الحالتين الإثنتين؛ حالة التعليم العام في جميع مراحله ومستوياته، وحالة اللغة العربية في شتى المواقع. وهو تلازمٌ ينسحب على المجتمع الذي يتأثر سلبًا بالحالتين كلتيهما. وليس في الإمكان تقوية اللغة والنهوض بها وتطويرها على المستويين النحوي والوظيفي، ما لم تتضافر الجهود لتطوير المنظومة التعليمية وفق نسق متكامل، للارتقاء بالتعليم من جهة، ولتعزيز الانتماء اللغوي لدى

الأجيال الناشئة، من جهة ثانية. وفي كلتا الحالتين يحتاج الأمر إلى إرادة قوية وعزم شديد وحبّ للغة الضاد واستعداد للرفع من مكانتها وإنزالها المنزلة التي تستحقها.

ومن جملة الأسباب العملية التي تساعد على إضعاف اللغة العربية والحيلولة دون مسايرتها للتطور الذي تعرفه الحياة العامة في جميع مرافقها، الوقوعُ تحت التأثير الذي تمارسه وسائل الإعلام ووسائط الاتصال، وهي كثيرة، ولكن في المقدمة منها القنوات الفضائية التي تبث من الدول العربية (بخلاف القنوات الفضائية التي تبث باللغة العربية من عواصم غربية)، والمحطات التلفزيونية الأرضية، والإذاعات، وتأتي الجرائد والمجلات والمنشورات المختلفة من كتب وغيرها، في آخر القائمة، لسبب يعود إلى عزوف العرب عمومًا، عن القراءة، قياسًا إلى ما هو عليه الوضع في مناطق أخرى من العالم. وتلك مشكلة أخرى تنعكس سلبًا على حالة اللغة العربية اليوم من وجوه عديدة. فباستثناء نشرات الأخبار التي يحافَظ فيها إلى حدٍ ما على سلامة اللغة العربية، ويُختار لها غالبًا، المذيعون والمذيعات من ذوي المعرفة بقواعد اللغة والخبرة المهنية العالية، فإن جل البرامج والمواد الإعلامية التي تبث من الفضائيات العربية، لا يُلتزم فيها باللغة العربية. وتأتي البرامج الحوارية التي تغطي مساحة واسعة من ساعات البث، في مقدمة الأسباب التي تفسد اللغة العربية، وتسيء إليها إساءة بالغة، وتحرم الأجيالَ الناشئة من تلقي لغة عربية سليمة من أفواه المتحدثين في هذه البرامج الحوارية التي تشكل في مجملها أزمة في الإعلام المرئي.

وبقدر ما تساهم البرامج الحوارية في الفضائيات العربية، في إفساد اللغة العربية، وتبعد المشاهدين عن لغتهم الأم، تقوم

المسلسلات الدرامية بدور في تمييع اللغة العربية والإساءة إليها، باستثناء المسلسلات التاريخية أو ما يعرف بـ (المسلسلات الدينية) التي تتميز في الجملة، بلغتها العربية الفصيحة، والتي يُحرص فيها على احترام قواعد اللغة. فيما عدا هذه المواد التلفزيونية المحدودة، فإن حالة اللغة العربية في الفضائيات العربية لا تسرّ، مما يساعد في عزوف المشاهدين عن لغتهم، وعدم الاكتراث بها، وهو ما يؤدّي إلى اتخاذ موقف اللامبالاة من اللغة العربية جملة وتفصيلاً.

اللغة العربية في الإعلام الأجنبي :

ومن الغريب أن الفضائيات الأجنبية التي تبث من عواصم غربية وتوجَّه للعالم العربي، تحترم اللغة العربية بشكل واضح، سواء في نشرات الأخبار، أو في البرامج السياسية الحوارية، أو في المواد الثقافية والبرامج الوثائقية والتاريخية. ولا بأس أن نذكر من جملة تلك الفضائيات الغربية التي تخاطب المشاهد العربي، قناة (البي. بي. سي) العربية، وقناة (فرانس 24) العربية، والقناة التركية العربية، وقناة "الحرة" الأمريكية العربية، والقناة الروسية العربية. فهذه القنوات الفضائية، يحرص القائمون عليها أشدَّ الحرص، على سلامة اللغة العربية لدى المذيعين والمذيعات، على نحو يكاد أن ينعدم لدى الفضائيات والقنوات الأرضية العربية إلاَّ فيما ندر.

ولربما يقول أحدهم إن هذه الفضائيات الغربية الناطقة باللغة العربية، لا تملك إلاَّ أن تلتزم بالفصحى التي تخاطب بها المشاهد العربي، وهي لا تستطيع أن تختار إحدى اللَّهجات العامية لتقدم بها رسالتها الإعلامية إلى العرب، لحرصها على توجيه تلك الرسالة إلى جميع العرب دون استثناء، بينما الفضائيات العربية تختار اللَّهجة

العامية السائدة في البلد الذي تنطق باسمه وتبث منه. ولا يهمنا هنا أن نردّ على هذا القول ونبطله، فالأهمّ هو أن اللغة العربية تُحترم في الفضائيات الغربية الموجّهة إلى العالم العربي، بغض النظر عن محتوى الرسالة الإعلامية التي تنقلها إلى المشاهد العربي. فهذا جانب آخر من المسألة لا نريد الاستطراد فيه.

ولا غرو، فالجيلان السابقان اللذان عاشا في الأربعينيات والخمسينيات وحتى في الستينيات من القرن الماضي، كانا يجدان في الإذاعات الغربية مادة لغوية عربية قوية، تفيد في تعلّم اللغة العربية واحترام قواعدها وضبط مخارج حروفها، وفي طريقة الإلقاء الواضح السليم. وأذكر أن الإذاعة البريطانية (البي. بي. سي) وإذاعة صوت أمريكا، والإذاعة الهولندية، والإذاعة الألمانية، وراديو موسكو، كانت خلال تلك الفترة، بمثابة مدارس لتعلم اللغة العربية، وكان بعض المدرسين يوجّهون تلامذتهم النجباء للاستماع إلى تلك الإذاعات، وخاصة هيئة الإذاعة البريطانية، لاكتساب المعرفة باللغة العربية. ولا تزال الإذاعات الغربية تقدم هذه الخدمة للمستمعين العرب، ربما على نحو يفوق ما تقدمه بعضٌ من الإذاعات العربية، سواء الحكومية أو غير الحكومية، بالنسبة للدول التي عرفت تجربة تحرير الإعلام السمعي، بفتح المجال أمام القطاع الخاصّ للاستثمار فيه.

ولا يقل الانبهار بالغرب والوقوع تحت تأثير النموذج الغربي في كل الأمور الحياتية، تأثيرًا في ضعف علاقة المجتمعات العربية بلغتها، عن الأسباب السابقة. ذلك أن التأثر بالحياة الغربية من خلال السينما، والتليفزيون، والموسيقى، ومواقع التواصل الاجتماعي، ومختلف وسائل الإعلام، أو السياحة بالنسبة للقادرين على تكاليفها، كل ذلك يقوّي في النفوس الرغبة في تقليد الغرب في كل شيء، بدءًا

من اللغة، وانتهاءًا بنمط الحياة وبأسلوب التعامل مع الآخر، وبطبيعة السلوك الفردي والجماعي. ولا يخفى أن جل المجتمعات العربية تتعرض لغزو ثقافي لغوي كاسح، يفرض اللغة الأجنبية، ويزاحم بها اللغة العربية، بل في أحايين كثيرة، يحارب بها اللغة الرسمية في هذا البلد أو ذاك. ولعل ما يجري في دول المغرب العربي خير مثال على ذلك.

الغزو اللغوي أخطر من الغزو الثقافي :

والغزو اللغوي هو أخطر أنواع الغزو الثقافي على الإطلاق، فأثره في شخصية الفرد وفي الشخصية الجماعية للمجتمع، من الخطورة بمكان؛ لأنه يُفقد الإنسان أهمَّ مقوّم من مقوّمات الوجود، وهو الهوية الوطنية التي تنطوي على الخصوصيات الروحية والثقافية والحضارية. ولذلك فإن اللغة الغازية الأجنبية، وهي في واقعنا المعاصر لغات الشعوب الغربية المستعمرة، تحارب اللغة المغزوة، وتبعدها عن الحياة، وتُفقدها المناعة الذاتية، فتنهار وتسقط ولربما تتلاشى وتذوب، وبذلك تنقطع الصلة بين الإنسان وبين جذوره، فيصبح بلا هوية، ويكون غير قادر على حماية مقوماته الدينية والحضارية، لفقدانه السلاح للدفاع عن الذات، الذي هو قبل كل شيء اللغة الوطنية.

وهناك أيضاً تأثير اللغات واللهجات القديمة التي كانت تكتب بالحروف العربية، مثل الكردية، والنوبية، في المشرق العربي، وفي المغرب العربي الأمازيغية ذات اللَّهجات المتعدّدة والحسانية، وهي اللَّهجة التي يتحدث بها المواطنون المغاربة في الصحراء المغربية بإقليمَي الساقية الحمراء ووادي الذهب، وفي موريتانيا، فضلاً عن اللَّهجات العامية في كل الدول العربية، التي تختلف من بلد إلى آخر، التي عاشت قرونًا متطاولة مع اللغة العربية منسجمةً معها مندمجةً

فيها، وتُعدّ جزءاً مهماً من الموروث الثقافي لشعوب هذه الدول، لكن ظهور تيارات فكرية وسياسية بعضها متعصب تعصباً شديداً يجاهر أنصاره بعدائهم للغة العربية، ويرون فيها ما يطلقون عليه (**الاستعمار اللغوي العربي**)، أبرز بشكل واضح مغالطةً تدل على قلة فهم للدروس التاريخية، وكشف عن رغبة في إحداث الانقسام داخل تلك المجتمعات إحياءاً لسياسات استعمارية فشلت، وكان أول من حاربها هم أقطاب تلك اللغات واللهجات وصفوة علمائها. وتجد هذه التيارات دعمًا ومساندة من دوائر استعمارية غربية، ومن مؤسسات بحثية يشرف عليها متعصبون عنصريون.

ولقد قويت شوكة هذه التيارات التي تتصادم مع اللغة العربية بدون أي مبرر في بعض دول المشرق العربي، كما في لبنان على سبيل المثال، وفي بعض دول المغرب العربي، كما في المغرب والجزائر حيث لا يكتفي النشطاء الذين يتحركون في مجالها، بالجمع بين اللغتين العربية والأمازيغية، وهو مطلبٌ سليمٌ أقرّه الدستور المغربي والدستور الجزائري، ولكنهم يدعون إلى إقصاء اللغة العربية وإلى محاربتها بشتى الأساليب، وهم في الغالب يلتقون في هذا المجال، مع دعاة الفرانكفونية الذين لهم قدمٌ راسخة في مزاحمة اللغة العربية والعمل على تهميشها، وفي الترويج للغة الفرنسية التي لها حضورٌ قويٌّ في الحياة العامة، في عدد من الدول العربية في شمال أفريقيا.

وممّا يجب ذكره في هذا السياق، أن الشعوب الأصلية في شمال أفريقية لما دخلت في دين اللَّه أفواجًا، عند الفتح العربي للمنطقة، اندمجت في اللسان العربي، بعد أن تجاوبت معه، حتى أصبح لسانها الذي تعبر به عن مشاعرها وأحاسيسها وآمالها وأفراحها وأتراحها، وعن كل شأن من شؤونها. وكان العلماء والفقهاء والمفتون والشعراء من

البربر الأمازيغ يكتبون لهجتهم الأمازيغية ، خصوصًا اللَّهجة السوسية بمنطقة سوس في المغرب، بالحروف العربية. ويكفي أن نأتي هنا بمثلين للدلالة على مكانة اللغة العربية لدى الأمازيغ، **أولهما** من التاريخ المغربي في القرن السادس الهجري، و**ثانيهما** من التاريخ المغربي المعاصر في القرن العشرين، وأقصد بهما محمد بن تومرت، المعروف بالمهدي بن تومرت، مؤسس الدولة الموحدية ذات الأصول الأمازيغية، الذي كان عالمًا فقيهًا صنف مؤلفاته الدينية باللَّهجة الأمازيغية المكتوبة بالحروف العربية، ومحمد المختار السوسي، أحد الوجوه البارزة في الحركة الوطنية والنهضة العلمية والثقافية في المغرب، الذي ألف العشرات من الكتب القيّمة باللغة العربية، وكان شاعرًا فحلاً، وعرف عنه الدفاع المستميت عن اللغة العربية، والعمل على نشرها في الوسط الأمازيغي، وكان من أعمدة التعليم العربي الإسلامي في عهد الحماية الفرنسية. ولا يزال أبناء المناطق الأمازيغية في كل من المغرب والجزائر وتونس وليبيا، يتحدثون بالعربية، ويعتزون بها، وبعضهم يقف في وجه أنصار الفرانكفونية، يدحضون حُججهم ويكشفون تهافت مقولاتهم. ولن تتم غلبة لغة على لغة، وإنما سيتواصل الانسجام والتناغم والتلاقح التلقائي والاندماج العفوي. لأن تلك هي طبيعة الأشياء. وهذه هي حكمة التاريخ المشترك للمجتمعات العربية في كل مكان، على تعدد عناصرها العرقية ومعتقداتها الدينية.

الحرب الثقافية والإعلامية ضدّ اللغة العربية :

ورغم أن الحرب الثقافية والإعلامية ضد اللغة العربية يشتدّ وطيسها في عديد من المناطق العربية، في المشرق كما في المغرب، وإن اختلفت الأساليب والوسائل والظروف المحلية، فإن المجتمعات العربية

لم تقطع صلتها باللغة العربية، ولم تنأ بنفسها عنها، ولم يضعف لديها الحسُّ العربيُّ. بل الأمر بخلاف ذلك، في أحايين كثيرة وفي جهات عديدة، حيث تفرض اللغة العربية وجودها، ليس فحسب بين كثير من المتعلمين والمثقفين، بل حتى في الأوساط الشعبية، حيث تزيد نسبة الأمية عنها في الأوساط الأخرى، وحيث ظروف العيش الصعبة تحول دون الاهتمام بالاقتراب من اللغة. ويكفي أن نشير إلى أن خطب الجمعة تلقى في جميع المساجد بدون استثناء باللغة العربية، فلا يقصر فهمُها واستيعابُها على فئة دون أخرى، وإنما يتلقاها الجميع بالرضا والقبول، ويفهمون مضامينها بشكل عام، يستوي في ذلك المتعلم والأميّ. ويتلى القرآن الكريم في كل مكان، في المساجد والجوامع والزوايا وفي البيوت والأسواق وفي غيرها من المواقع. وتنتشر ظاهرة الإقبال على حفظ القرآن وتجويده، خصوصًا بين الإناث من مختلف الأعمار ومن شتى المستويات. والارتباط بكتاب اللَّه يقرّب الإنسان إلى اللغة العربية، ويحبّبه فيها، مهما يكن أصله وعرقه ولسانه الأصلي. وهذه ظاهرة تكاد أن تكون عامة في جل المجتمعات العربية، رغم الكثير من العوائق. ويتجلى ذلك في هذه المباريات والمسابقات الإقليمية والدولية في حفظ القرآن الكريم وتجويده، التي لا تنقطع هنا وهناك، والتي تنظمها الجهات الحكومية، وغالبًا ما تكون وزارات الأوقاف والشؤون الإسلامية، كما تنظمها الجمعيات والهيئات والمنظمات الأهلية. وفي ذلك دعمٌ وتعزيزٌ للغة العربية، بطرق غير مباشرة.

ولعلّ من الأمور التي تثير الانتباه، ويجدر بنا في هذا السياق، أن نشير إلى بعضها على سبيل المثال، أن المسلسلات الأجنبية

المدبلجة باللغة العربية التي تبثها الفضائيات العربية، تلقى إقبالاً واسعًا من الشعوب العربية، بحيث يفهمها الجميع، بصرف النظر عن المحتوى الثقافي لتلك المسلسلات الذي ليس موضوع هذا البحث.

ولا نملك إلاَّ أن نجيب عن سؤال يُطرح في هذا السياق، حول الدوافع التي حدت بالجهات الأجنبية التي تنتج المسلسلات وتقوم بترويجها في العالم العربي، لاختيار اللغة العربية الفصحى بالتحديد عوضًا عن اللَّهجات العامية العربية.

العامل التجاري في نشر اللغة :

والواقع أن في مقدمة هذه الدوافع، العامل التجاري المحض الذي يبغي الربح السريع. وهذا أمرٌ مشروع في مثل هذه الحالات، لأن القصد هو ضمان الرواج التجاري الواسع، بإقبال القنوات الفضائية في جل الدول العربية على شرائها. فلو اختارت تلك الجهات إحدى اللَّهجات العامية العربية، لما ضمنت الرواج الذي تنشده. وهذا صحيح من الناحية التجارية، ولكننا ونحن نبحث هذا الموضوع المهمّ من الناحية الأكاديمية، نرى أن اختيار اللغة العربية الفصحى في هذه الحالة، يؤكد بشكل قاطع، وبغض النظر عن أي اعتبار آخر، أن هذه اللغة هي الجامعة بين المجتمعات العربية على وجه الإطلاق، ودونما أدنى استثناء. فلو لم تكن اللغة العربية على هذا القدر من التغلغل في وجدان الإنسان العربي، حتى وإن كان أصله من عرق آخر، وبهذا المستوى من الزخم الثقافي والاجتماعي، لما وقع اختيارها لتكون وسيلة لترويج الإنتاج الفني الذي يأتي من الخارج، سواء من أمريكا اللاتينية أو من غيرها. فاللغة العربية عنصرٌ قويٌّ فعّالٌ يجمع أطراف المجتمعات العربية حيثما كانت، ومهما تكن مواقف الأطراف المعادية لها.

وتلك شهادة على قوة اللغة العربية ومتانتها وتماسكها. وإذا كان هناك شذوذ عن القاعدة، فإن تأثيره ليس بالقوة التي تجعل اللغة العربية تتراجع، أو يكون مصيرها مصيرَ المئات من اللغات التي سادت وبادت، والتي أحصاها تقرير صدر حديثاً عن اليونسكو.

إنَّ اللغة العربية تستمد قوتها من القرآن الكريم، فهي اللغة التي اختارها اللَّه سبحانه وتعالى لكتابه العزيز، واختار آخر أنبيائه ورسله محمد صلى اللَّه عليه وآله وسلم، من الناطقين بها. فهي لغة خالدة بخلود الحياة فوق هذه الأرض، وهي إلى ذلك لغة محفوظة بحفظ اللَّه تعالى للقرآن الكريم.

ولئن كنا نؤمن بأن اللَّه عزَّ وجلَّ قد وعد رسوله والمؤمنين بحفظ القرآن مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[1] ـ وقد أجمع المفسرون على أن (**الذكر**) هنا هو الوحي المنزل على محمد بن عبد اللَّه عليه الصلاة والسلام ـ فإن حفظ اللغة العربية مسؤولية جسيمة في أعناقنا جميعًا، وأمانة عظمى نستشعر ثقلها، وواجبٌ من الواجبات التي لا مناص من القيام بها. وحفظ اللغة يكون بمتابعة العمل على تطويرها، وإنمائها، وتجديدها؛ لأن **اللغة تتجدّد أيضاً، كما يتجدّد الدين**، قال الرسول صلى اللَّه عليه وسلم: «**إنَّ اللَّه يبعث لهذه الأمة على رأس كلّ مائة سنة من يجدّد لها دينها**»[2]، فالتجديد الديني يكون بالاجتهاد المراعي لتغيّر الزمان والأقضية. والتجديد اللغوي يكون بالتطويع والتكييف، وبالتهذيب والتشذيب، وبمسايرة اللغة للمتغيّرات التي تعرفها الحياة في تطورها الدائم وتقدمها المطرد. وتلك مهمة المجامع اللغوية، والكليات الجامعية المتخصّصة،

---

(1) الحجر، 9.

(2) رواه أبو داود في الملاحم (512) والحاكم في الفتن والملاحم (567/4) والطبراني في الأوسط (522/4) عن أبي هريرة.

ومعاهد المعلمين، كما هي مهمة كليات الإعلام ومعاهد تكوين الصحفيين والإذاعيين ومذيعي التلفزيون ومنتجي الأفلام المخصصة للأطفال والناشئة. وهذه مسؤولية جماعية، بل أكاد أقول إنها فرض عين على كل مسؤول في القطاع الذي له صلة باللغة، وليس فقط فرض كفاية.

تجديد اللغة العربية:

إنَّ تجديد اللغة العربية مقرونٌ بتقريبها من الناس، وتيسير تعلّمهم لها، وتذليل الصعاب التي يجدها التلاميذ في المدارس في تعلم قواعد اللغة العربية كما يجدها الطلاب في الكليات في دراسة فقه اللغة والغوص في علومها. ولابد من أن يتواكب الجهد الذي يبذل في هذا المجال، مع الجهد الذي ينبغي أن يبذل في التمكين للغة العربية في الإعلام المكتوب والمرئي والمسموع، وذلك بحسن الاختيار للمذيعين وللمذيعات من ذوي المعرفة والمران، وبتوجيه المسؤولين عن هذا القطاع ذي الأضلاع الثلاثة، إلى احترام اللغة العربية واستخدامها في جميع البرامج الإعلامية في الإذاعة والتلفزيون. والأمر في جميع الأحوال، يتوقف على سنّ القوانين التي تحمي اللغة العربية وتحافظ على سلامتها وصحتها في جميع المواقع التي تستخدم فيها اللغة. ولعلّ تجربة مجمعنا اللغوي العتيد الذي نلتقي في رحابه، في هذا المجال، جديرة بأن يُحتذى بها في المجامع اللغوية العربية الأخرى. بل إنّ على جميع البرلمانات والمجالس التشريعية العربية، إصدار التشريعات الكفيلة بحماية اللغة العربية والتمكين لها، وصون مكانتها في المجتمعات العربية، إذ لا سبيل إلى إزالة العراقيل من أمامها، وهي كثيرة ومتعددة، إلاَّ بالقانون، كما هو الشأن في كثير من الدول الغربية، باعتبار أن المساس بحرمة اللغة الوطنية، هو انتهاك

لسيادة الدولة. وهذا مبدأ دستوري يعمل به في الدول التي تحترم خصوصياتها الثقافية والحضارية، وتصون هويتها الوطنية، وترى في لغتها ثابتًا من ثوابتها التي يقوم عليها الكيان الوطني.

ومن الواجب أن يكون وضع اللغة العربية في المجتمعات العربية، ضمن مقوّمات الهوية الثقافية والحضارية. وهذا لا يتعارض في الوقت نفسه، مع انفتاحها على آفاق العصر، واندماجها في محيط المتغيرات التي يشهدها العالم، من حيث تعلم اللغات الحية والتمكن منها، وامتلاك ناصية العلوم والتكنولوجيا، من دون أن يكون ذلك على حساب اللغة العربية.

ولكن المجتمعات العربية بوجه عام، في مشرق العالم العربي ومغربه، لا تستخدم اللغة العربية الفصحى في تعاملاتها اليومية، وتتعرض لهجوم لغوي ثقافي إعلامي غربي كاسح. وتقاوم في مكابدة شاقة، وإن لم تظهر للعيان، الإغراءات الشديدة الإبهار التي تدفع بها نحو الانسياق مع تيارات التغريب. وتلك حالة طبيعية في ظلّ الأوضاع الدولية التي تخضع لنظام العولمة الماحية للهويات، والكاسحة للخصوصيات، والماحقة للثوابت. ولكيلا تنهزم الأمة العربية الإسلامية في هذا المعترك اللغوي والفكري والثقافي، فعليها أن تتشبث بدينها، وتتمسك بثوابتها، وأن تعلم بأن التفريط في اللغة العربية، هو تفريط في الحرية وفي الكرامة وفي الهوية.

ولئن كنا نسجل بأسف، التراجع الملحوظ في مكانة اللغة العربية في مجتمعاتنا العربية، للأسباب الآنفة الذكر التي اختصرناها، فإننا متفائلون رغم كل التحديات، بأن الأوضاع لن تستمر كما هي، وأن عودة الشعوب العربية إلى لغتها الفصحى سيأتي حتماً بإذن اللّه. مهما تكن العوامل المثبطة والحملات المغرضة. لأن الغيورين عليها كثر، والحمد لله.

إنَّ اللغة، أي لغة، كائنٌ حيٌّ يعتريه ما يعتري أي كائن من عوارض، ويخضع لتقلبات الزمن نتيجةً للتطورات التي تقع، وللمتغيرات التي تحدث، وللمستجدات التي تطرأ. وحياة اللغة من حياة أبنائها، وهي تقوى وتضعف، حين يقوون أو يضعفون. واللغة عنصر فاعل في الحضارة، وعامل مؤثر في النهضة، فكلما قامت حضارة ونما فرعها وأثمرت أغصانها وأينعت، ازدهرت اللغة واغتنت، وامتدَّ إشعاعها وانتشرت. وتطّردُ هذه القاعدةُ في كل العصور، وتسري على جميع الحضارات المتعاقبة واللغات التي عرفها الإنسان[3]. وإذا ما سارت المجتمعات العربية في طريق التطور الحقيقي، في اتجاه تصاعدي، ونمت نموًا مطردًا في جميع المجالات، متحديةً المعوقات والتحدّيات والصعاب جميعاً، فإن اللغة العربية، ستسير في ذات الاتجاه أيضاً، لتتمكن من إثبات حضورها، حتى تصبح (**الفصحى المعاصرة**) التي تجري على سنن اللغات، في تراكيبها وصيغها، لا تستعصي على التطور. و (**الفصحى المعاصرة**) هي خلاصة التطور الذي عرفته اللغة العربية في هذا العصر، وهي اللغة (**الوسطى**) التي هي أعلى مستوى وأرقى مقاماً من (**اللغة السيَّارة**)، فهي لغة عربية تحافظ على خصائصها ومميّزاتها وتراكيبها وصيغها، ولكنها لغة عربية معاصرة، بكل ما في المعاصرة من دلالات[4].

---

(3) **مستقبل اللغة العربية**، الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، ص 8، منشورات الإيسيسكو، الرباط 2004م.

(4) **في التراث والشعر واللغة**، الدكتور شوقي ضيف، ص 242، سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية 100، دار المعارف، القاهرة، 1987م.

الفصحى المعاصرة :

ونريد أن نؤكد هنا، بناءًا على رصدنا لأوضاع اللغة العربية في المجتمعات العربية، أن (**الفصحى المعاصرة**)، **هي** الأمل في تطور اللغة العربية تطورًا سليمًا، في هذه المرحلة التي تهاجم فيها الهوية الثقافية، والخصوصية الحضارية للأمة العربية الإسلامية، فهي لغة الإعلام والفكر والأدب والثقافة والإدارة والدبلوماسية[5]. وهي إلى ذلك لغةٌ حيّة قادرة على الصمود أمام موجات التغريب العاتية، وعلى السير في طريق التجديد الذي يقرّبها من المجتمعات العربية، ويجعلها لغة الحاضر والمستقبل. ويبقى أن يهتم أهلها بشؤونها، وفي مقدمتهم صنّاع القرار من قادة ومشرّعين برلمانيين ومثقفين وإعلاميين وتربويين، فهي لغة ثقافتهم وجامع شملهم، وإذا تركوها أو أهملوها، ضاعت هويتهم وانفرط عقدهم، وصاروا عالة على غيرهم من الأمم.

ورحم اللَّه شاعر مصر الكبير حافظ إبراهيم القائل :

أنا البحر في أحشائه الدُّرُّ كامنٌ
فهل سألوا الغوَّاصَ عن صدفاتي
فيا ويحكم أبْلَى وتبلى محاسني
ومنكم وإن عزّ الدواءُ أساتي
فلا تكلوني للزمانِ فإنّنيٌ
أخاف عليكم أن تحين وفاتي[6]

ويا ويح أمة أكرمها اللَّه بلغة القرآن وجعلها خير أمة أخرجت للناس، تَكِلُ لغتها للزمان.

---

(5) الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، مصدر سابق، ص 2.

(6) ديوان حافظ إبراهيم، الجزء الأول، صفحة 253، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980م.

في مشاكل اللغة العربية:
عـــودٌ عـــلى بَـــدء

اللغة جزء من كيان الأمة :

ليست اللغة جزءًا منفصلاً عن كيان الأمة الناطقة بها؛ فالعلاقة بينهما علاقة عضوية وثيقة. فسلامة هذا الجزء هي من سلامة الكيان المرتبط به. ولذلك فإن اللغة العربية التي ترتبط بالأمة العربية وبالشعوب الإسلامية التي تتكلم اللغة العربية روحيًا وثقافيًا، باعتبارها لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ولغة العبادات، ولغة التراث الإسلامي الذي تعتز به هذه الشعوب، وتستمدُّ منه هويتها وخصوصياتها الروحية والثقافية والحضارية، هي لسان هذا الكيان المعبّر عن ثقافته وحضارته. كما ينصرف هذا المفهوم الواسع إلى الجماعات التي تتخذ من اللغة العربية وسيلةً للاطلاع على الثقافة العربية الإسلامية، وعلى الآداب والفنون العربية، وعلى الذخائر التي تزخر بها المكتبة العربية الإسلامية، سواء على سبيل الاستمتاع بروائع هذا التراث الإنساني، أو من أجل الأغراض العلمية أو سواها من الأغراض. فاللغة العربية ليست لغة العرب والمسلمين فحسب، بل هي لغة عالمية ذات انتشار واسع في مختلف أقطار العالم.

ولئن كانت اللغة العربية بهذا الشمول وبهذا العمق، وبهذا الامتداد، فإن مصدر قوتها ونمائها وازدهارها ورقيّها وتفتحها، يظل دومًا مرتبطًا ارتباطاً وثيقاً بالمستوى الثقافي والحضاري والعلمي الذي وصلت إليه الأمة العربية الإسلامية؛ فبقدر قوة الأمة تقوى لغتها، وبقدر ضعفها تضعف، فهي جزء لا يتجزأ منها.

ولذلك كان التطور أصلاً أصيلاً في حياة اللغة. وأساس التطور هو الوجود البسيط أولاً، ثم النماء المترقى ثانياً، وخلال هذا الانتقال يتكون الكائن مترقياً، ويتغير تغييرات مندرجة[1].

وليست اللغة العربية مجرد وعاء للثقافة والتراث، على أهمية ذلك وخطورته، بل هي أيضًا أسلوب تفكير، ووسيلة اتصال واستمرار لوجود الأمة. واللغة تعني نظام القيم الجماعية والفردية من خلال تعابيرها ومفرداتها. والعربية تعبر عن المستوى الفكري والثقافي لأهلها، وهي بعدُ وقبلُ، رابطةٌ أولى بين أهلها، وهي التي ترسم إطار الهوية العربية الإسلامية [2].

وإذا سلمنا بأن اللغة العربية هي لغةٌ كغيرها من اللغات تمرّ من طور النمو والازدهار إلى الاحتضار فالموت، إذا سلمنا بذلك، فما علينا إلا أن ندرك عظم الرسالة الملقاة على عواتقنا لإنقاذ الحالة المتردية التي وصلت إليها اللغة العربية. وليس أدل على هذا التردي اللغوي من أن لغة الضاد صارت عاجزة عن توليد كلمات جديدة تواكب بها حركة الحياة الحديثة. وهذا العقم ليس عقمًا في اللغة، ولكن لأن أهلها قد عجزوا عن إخصابها[3].

---

(1) أمين الخولي، **مشكلات حياتنا اللغوية**، ص 66، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م.

(2) د. عبد العزيز الدوري، **أوراق في التاريخ والحضارة**، ص ب 206 ضمن (الأعمال الكاملة للدكتور عبد العزيز الدوري)، الجزء 11، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، 2008م.

(3) د. صادق محمد نعيمي، **التاريخ الفكري لأزمة اللغة العربية**، ص 35، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2008م.

جذور مشاكل اللغة العربية :

ولذلك كان الحديث عن المشاكل التي تعاني منها اللغة العربية حديثًا متصلاً لا ينفصل عن المشاكل التي تحدّ من انطلاقة العرب نحو مستويات أعلى من النموّ والتقدم والازدهار في مختلف الميادين. فمشاكل اللغة، إنما هي في حقيقة الأمر، مشاكل الأمة العربية في المقام الأول، والبحث في معالجة هذه المشاكل، ينبغي أن ينطلق من الواقع المعيش وليس من الواقع الافتراضي، بما يعني ردّ هذه المشاكل اللغوية إلى الأسباب العملية المباشرة لتدهور أحوال الأمة وضعف قدراتها.

ولقد اهتم بمعالجة مشاكل اللغة العربية جماعة من الباحثين والكتاب الأدباء وعلماء اللغة المجمعيين، ومنهم الأديب المصري الكبير محمود تيمور، الذي أصدر في سنة 1956م كتابًا بعنوان (**مشكلات اللغة العربية**) قال فيه : "إن المهم ليس التساؤل عن صلاحية اللغة العربية، وإنما دفع اللغة إلى الأمام حتى نعين اللغة العربية على أن تبسط سلطانها، وتستوفي حيويتها في ميادين الحياة العامة". وجاء ذلك في معرض تناوله لمسألة أعم، هي صلاحية اللغة العربية للحياة ومستقبلها. وهي ذات المسألة التي طرحت في مطالع القرن العشرين، ولا تزال تطرح إلى اليوم.

وقد اقترح الأستاذ محمود تيمور، أربع وسائل للنهوض باللغة العربية من خلال إصلاحها، أوجزها فيما يلي :

أولاً : تزويد اللغة، أي إمدادها بالمزيد من الكلمات لتراعي تطورات الحياة الاجتماعية.

ثانيًا : تبسيط اللغة، أي الابتعاد عن الغريب، وتقبّل الكلمات المستعملة في العامية، ولا سيما إذا كانت ذات أصل فصيح، بل

استعارة كلمات كثيرة من العامية للدلالة على المعاني اليومية والعملية والأدوات التي لا نظير لها في الاستعمال الفصيح.

ثالثًا : تيسير النحو، وهو أمر لابد منه وشرط لازم، ويمكن الاستعانة بتجارب النحويين القدامى والإفادة من جوازاتهم (أي ما أجازوه من كلمات).

رابعًا: تعميم الضبط، إذ لابد من استخدام الشكل (الحركات) في الكتابة، ويجب البدء بكتب المرحلة الابتدائية. ويمكن في المستقبل التوصل إلى طريقة تقنية توفر المال والجهد[4].

فمن خلال (التزويد) الذي هو إغناء وتخصيب للقاموس العربي، و (التبسيط) الذي هو تطوير للغة العربية وتجديد، و(التيسير) الذي هو تطويع للنحو ليتلاءم مع متطلبات التطوير، و(التعميم) الذي يرفع الحواجز من أمام القراءة الصحيحة والفهم السليم، يمكن إصلاح اللغة العربية إصلاحًا يقربها من الجمهور الواسع، ويجدد حيويتها ويمدّ إشعاعها.

تيسير النحو:

وكان الدكتور طه حسين قد سبق محمود تيمور بأكثر من عقدين من الزمن، إلى طرح مسألة تيسير النحو في معرض حديثه المستفيض عن إصلاح اللغة العربية في التعليم، وذلك في إطار تناوله للمشاكل التي يعاني منها دارسو اللغة العربية بصورة عامة. ففي سنة 1938م،

(4) محمود تيمور، **مشكلات اللغة العربية**، المطبعة النموذجية، القاهرة، 1956م.

أملى الدكتور طه كتابه (**مستقبل الثقافة**) الذي أصدره في السنة الموالية، والذي تناول في الفصل السابع والثلاثين منه تحت عنوان (ما اللغة العربية التي تتولى الدولة تعليمها؟)، وفي الفصل الثامن والثلاثين بعنوان : (قصر تعلّم النحو على القدر الضروري)، وفي الفصل الثاني والأربعين بعنوان : (إعداد معلم اللغة العربية)، تناول فيه مشاكل اللغة العربيـة بقدر ملحوظ من الاستفاضة والتوسّع، وعلى نحو من التعمق في بحث الموضوع في كتابه هذا الذي كان بمثابة تقرير موسع شامل تقدم به المؤلف إلى الحكومة المصرية التي تشكلت بعد إبرام اتفاقية سنة 1936 م مع بريطانيا، للنهوض بالثقافة المصرية، بالمدلول الشامل للثقافة الذي يشمل التربية والتعليم بوجه عام.

ولأهمية ما كتبه الدكتور طه حسين عن اللغة العربية في هذا الكتاب الذي نشره في سنة 1939م، فإننا نقف عنده قليلاً متأملين ومدققين، لأنه كان من جملة الأوائل الذي نادوا بتجديد الفصحى بإصلاح علومها وفي المقدمة منها النحو العربي. قال : "الذين يزعمون لنا أننا نتعلم اللغة العربية ونعلمها، لأنها لغة الدين فحسب ثم يرتبون على ذلك ما يرتبون من النتائج العلمية والعملية، إنما يخدعون الناس، وليس ينبغي أن تقوم حياة الأمم على الخداع".

ثم قال : "اللغة العربية لغة الدين. هذا حق. وهذا خير للذين يتكلمون هذه اللغة، ولكنه يجب أن يكون خيراً خالصًا بريئًا من كل شيء، بريئًا من الحرج، بريئًا من كل تقييد للحرية المعقولة، بريئًا من كل ما يدعو إلى الجمود أو يورط فيه، لأن الدين نفسه بريء من هذا كله".

وأضاف : "وإذا كان هذا كله حقًا ـ وهو حق لا شك فيه ـ فإن اللغة العربية ليست ملكًا لرجال الدين يُؤْمَنون وحدهم عليها، ويقومون

وحدهم من دونها، ويتصرفون وحدهم فيها. ولكنها ملك للذين يتكلمونها جميعًا من الأمم والأجيال. وكل فرد من هؤلاء الناس حر في أن يتصرف في هذه اللغة تصرفَ المالك متى استوفى الشروط التي تبيح له هذا التصرف".

وخلص الدكتور طه إلى هذه النتيجة المهمة التي أجملها في قوله : "فنحن إذاً، نفكر بهذه اللغة، ونحن إذاً، لا نغلو إن قلنا، إنها ليست أداة للتعامل والتعاون الاجتماعيين فحسب، وإنما هي أداة للتفكير والحس والشعور بالقياس إلى الأفراد من حيث هم أفراد أيضًا. وإذا كان هذا حقًا، فنحن نتعلم اللغة العربية ونعلمها، لأنها ضرورة من ضرورات حياتنا الفردية والاجتماعية، ووسيلة أساسية(*) إلى منافعنا مهما تختلف قربًا وبعدًا ويسرًا وعسرًا، وسهولة وتعقيدًا. وإذا ً، فنحن لا نتعلم اللغة العربية ولا نعلمها لأنها لغة الدين فحسب، وإنما نتعلمها ونعلمها لأنها أوسع من ذلك وأشمل وأعم، ونحن لا نتعلم اللغة العربية ونعلمها لأنها لغة القدماء من العرب والمستعربين، وإنما نتعلمها ونعلمها لأنها لغتنا ولأنها لغة الأجيال المقبلة أيضًا، أو لأننا نريد أن تظل لغة لهذه الأجيال".

وبعد أن أكد الأهمية القصوى لمكانة اللغة العربية في حياة العرب والمسلمين، خلص الدكتور طه حسين إلى لبّ الموضوع، وهو ما يُعدّ حجرَ الأساس في إصلاح اللغة العربية، باعتبار أن هذا الإصلاح هو القاعدة الصلبة للنهوض بلغة الضاد، فقد ذهب إلى

(*) هكذا كان يكتب د. طه، ولا يزال هذا الاستعمال سائدًا إلى اليوم، والصحيح حذف الياء والتاء الزائدتين.

القول : "إن إصلاح علوم اللغة العربية[5] شرط أساسي(*) لإصلاح التعليم كله، فإنك حين تتعلم بلغة من اللغات، لن تبلغ من التعليم شيئًا إذا لم تكن لغة هذا التعليم واضحة سهلة قريبة من العقول والقلوب".

واستطرد قائلاً : "وإصلاح علوم الغة العربية ليس كل شيء ليكون تعليمها مثمرًا مفيدًا، بل لابد من العناية بالمادة التي تعلم فيها هذه اللغة".

والمادة التي يتعلم فيها اللغة هي النحو. ولذلك نجد الدكتور طه حسين يقول : "فلنقتصد إذن في درس النحو والصرف والبلاغة، ولنجعل هذه العلوم حين ندرسها فصولاً من الأدب أو شيئًا قريبًا من ذلك".

ويجتهد الدكتور طه حسين في شرح ما يقصد إليه، فيقول : "إنني لا أكتفي بإصلاح النحو والصرف والبلاغة، وإنما أريد أن نعمد إلى إصلاح أعمق من هذا الإصلاح، يتناول الكتابة والقراءة، ويعصم الناس إلى حد بعيد، من الخطأ حين يكتبون ويقرأون. أريد أن يقرأ الناس ليفهموا لا أن يفهموا ليقرأوا. وأريد أن يكون الغرض من الكتابة الإبانة والتجلية لا الإلغاز والتعمية. أريد أن تكون الكتابة تصويرًا صادقًا دقيقًا للنطق، لا أن تصور بعضه وتلغي بعضه، لا أن تصور نصف اللفظ وتلغي نصفه الآخر، أريد أن تصور الكتابة ما نسميه الحروف وما نسميه الحركات تصويرًا لا إهمال فيه من جهة،

(*) الصحيح شرطٌ أساسٌ.

(5) يلاحظ أن الدكتور طه حسين يحتاط فلا يقول (إصلاح اللغة العربية) وإنما يقول (إصلاح علوم اللغة العربية). وهو تعبير دقيق أَوْفَى بالقصد.

وتصويرًا قوامُه اليسر والسهولة والسرعة والاقتصاد في الوقت والجهد والمال من جهة أخرى" [6].

وبقدرما ينطوي عليه كلام الدكتور طه من أهمية وما له من قيمة، فإن فيه قدرًا من عدم الوضوح في القصد والإفصاح عن الغاية المرجوة وتبيان الوسائل المؤدية إلى تحقيقها. وتلك على كل حال، خاصية من خصائص أسلوبه المميز. ولكن حسب الرئيس الأسبق لمجمعنا عميد الأدب العربي، أنه وجد الجرأة لطرح مسألة إصلاح علوم اللغة العربية، في تلك المرحلة التي كانت هذه المسألة تلاقي معارضة شديدة من فئة جامدة كانت ترفض التجديد بصفة عامة، وهذا الجمود الذي كان مهيمنًا على الحياة العقلية، أساء كثيرًا إلى اللغة العربية، كما أساء بصورة عامة إلى الثقافة العربية الإسلامية.

ولذلك نقول إن الأستاذ محمود تيمور كان أكثر تحديدًا فيما ذهب إليه في معالجته لمشاكل اللغة العربية بصورة مباشرة، وإن كانت المشاكل التي كانت قائمة في النصف الأول من الخمسينيات من القرن الماضي، هي غيرها اليوم. بل يصح القول إن هذه المشاكل قد تشعبت وتفاقمت إلى حد يثير قدرًا كبيرًا من القلق، بحيث طغت على المشاكل الثقافية الأخرى حتى أصبحت قضايا فكرية تثير كثيرًا من الأسئلة. وهذا أمر طبيعي، لأن اللغة، بعد الدين، هي العنصر الأقوى تأثيرًا في حياة الأمة العربية.

---

(6) د. طه حسين، **مستقبل الثقافة في مصر**، الصفحات من 287 إلى 382 المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، المجلد التاسع، علم التربية، دار الكتاب اللبناني– بيروت، الطبعة الأولى 1973م.

رأي حصيف للشيخ محمد الفاضل ابن عاشور :

ووقفت على مقال دقيق للعلامة التونسي الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور كان قد نشره في سنة 1969م تحت عنوان : (**هل للغة العربية مشاكل**؟)[7]، افتتحه بهذا الاستهلال الرائع : "عنوان غريب يتضمن سؤالاً غريبًا، قد يقال إنه من باب الاستفهام التقريري، وقد يقال إنه من باب تجاهل العارف، وقد يقال إنه من غفلة المتغافل، وقديمًا كنت وضعت سؤالاً مشاكلاً لهذا السؤال، هو : هل للإسلام مشاكل؟، كما أننا لا محالة مستحضرون كتبًا كثيرة ومقالات طويلة كلها تشهد بوجود مشاكل متعلقة باللغة العربية". ثم ينتقل إلى جهود نفرٍ من علماء اللغة في التنبيه إلى هذه المشاكل والتأليف فيها، فيقول: "إن علماء اللغة العربية القائمين على دراستها وحمايتها، قد كانوا أول من تذمر لحال العربية، منهم حفني ناصف في المحاضرات التي ألقاها سنة 1909م [8] حيث شكا حال اللغة العربية وما تقاسي من أزمات وهجمات بعد أن أصبحت من جميع نواحيها محلاً للطعن والانتقاد، واهتمت المعاهد العلمية والجامعات الكبرى بهذه القضايا الحديثة".

وكانت رؤية الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور شمولية وتحديده للداء الذي تشكو منه العربية واقعيًا، حيث اهتم بحصر مشاكل اللغة العربية في عشر مشاكل أوردها حسب هذا الترتيب : مشكلة تيسير اللغة العربية، ومشكلة الإعراب، ومشكلة الاشتقاق وهي

---

(7) جريدة (**الصباح**) التونسية، عدد 6038 ، 8 مارس 1969م.

(8) نشر حفني ناصف هذه المحاضرات في كتابه (**تاريخ الأدب وحياة اللغة العربية**)، الطبعة 3 القاهرة، 1973م.

تتعلق خاصة بالمضارع، والشواذ والمستثنيات والقياس على السماع، ومشكلة تدريس اللغة العربية وطرائقها وتمس النحو والصرف، ومشكلة كتابة الألفاظ الأجنبية باللغة العربية، ومشكلة المصطلحات العلمية، ومشكلة ألفاظ الحضارة وشأنها شأن مشكلة المصطلحات العلمية، ومشكلة المعاجم، ومشكلة الازدواج اللغوي. وبذلك يكون الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور قد توسع في عرض مشاكل اللغة العربية بخلاف ما فعل مَن سبقه وكلهم كانوا زملاء له في مجمعنا هذا. وهو على كل حال يلتقي مع سلفه في التأكيد على ضرورة إصلاح علوم اللغة العربية، ومنها علم النحو.

اللغة العربية تستعيد مكانتها :

ومهما يكن من أمر هذه المشاكل التي تعاني منها اللغة العربية اليوم، فإنها ليست بالخطورة التي قد يتصورها بعضٌ من الغيورين عليها. فواقع الحال يؤكد "أن اللغة العربية تستعيد مكانتها، وتواجه تحدياتها في ثقة وعزم، وتفرض وجودها الحيّ بفضل أكثر من أربعمائة مليون يتكلمونها ويستخدمونها، وبفضل اتساع رقعة انتشارها يومًا بعد يوم. ونحن نسمع عن جامعات عديدة في أمريكا وأوربا تُدخل اللغة العربية في برامجها الدراسية، وعن جامعات تهتم بها باعتبارها لغة ثانية، وعن ألوف من محبي هذه اللغة والمهتمين بها يسعون إلى تعلمها وتعميق انتمائهم إليها، في أماكن شتى من العالم، وعن جهود لبعض الدول العربية مثل المملكة العربية السعودية في نشر هذه اللغة ودعمها في إندونيسيا على سبيل المثال، ونحن نرى في كل يوم ـ داخل مجتمعاتنا العربية ـ جمعية جديدة لحماية هذه

اللغة، أقدمها في مصر وأحدثها في المغرب. فهناك في مصر جمعية حماة اللغة العربية، وجمعية لسان العرب، والجمعية المصرية لتعريب العلوم، وفي دولة الإمارات العربية المتحدة جمعية حماية اللغة العربية، وفي المغرب، أخيرًا - منذ خمس سنوات - جمعية حماية اللغة العربية. هذا الدور الجديد لمؤسسات المجتمع المدني في البلاد العربية، دليل وعي بأهمية هذه اللغة وضرورة الحفاظ عليها والعمل على انتشارها وتيسيرها وتطويرها وجعلها لغة للحاضر والمستقبل. وهو أيضًا دليل تأكيد للمواطنة العربية وللهوية العربية اللتين تجدان جوهرهما في هذه اللغة وموروثها الثقافي والعلمي الضخم" [9].

وتتوسّع مساحات انتشار اللغة العربية في العالم بدخولها الفضاء الرقمي وتبوئها مكانة متقدمة بين اللغات الحية التي تستخدم في شبكة المعلومات العالمية، مما دفع بشركة ميكروسوفت العالمية إلى فتح مكتب لها في القاهرة متخصص في اللغة العربية، يهدف إلى تطوير لغتنا وإدماجها في الشبكة العالمية للمعلومات. والجدير بالذكر في هذا الصدد، أنه ورد في تقرير لمنتدى دافوس الاقتصادي العالمي، أن المنطقة العربية هي أوفر مناطق العالم جغرافيًا وثقافيًا، إقبالاً على استيعاب تكنولوجيات الاتصال الحديثة، مما يؤكد الانتشار الواسع للفصحى في العالمين الواقعي والافتراضي.

وهذا ما يبعث على الأمل، ويحفزنا للبحث عن إيجاد حلول للمشاكل اللغوية القائمة التي هي من نتائج الوضع العام الذي تعيشه الأمة العربية الإسلامية من النواحي كافة.

---

(9) فاروق شوشة، في كلمة ألقاها في اليوم الدراسي حول اللغة العربية الذي نظمته الإيسيسكو بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية، 18ديسمبر 2012م.

في كتابه (**اللغة العربية المعاصرة**) يقول الطبيب الجراح والعالم اللغوي الدكتور محمد كامل حسين، عند طرحه مشروعه اللغوي عن النحو المعقول كما سمّاه : "الذين يريدون المحافظة على اللغة، فيرفضون كل جديد، كمثل الذي يريد أن يحافظ على جمال الأزهار وطيب رائحتها بوضعها في خزائن حديدية، فتؤدي تلك المحافظة إلى ذبولها. والمحافظة الصحيحة على الكائنات الحية لا تكون إلا بالعناية بها وتطويرها وجعلها مطابقة للبيئة التي تعيش فيها"[10]. فالعمل على جعل اللغة العربية مطابقة للبيئة التي تعيش فيها، هو الأصل في الإصلاح اللغوي على جميع المستويات، والمدخل الرئيسُ لمعالجة المشاكل اللغوية التي هي بطبيعة الحال، وكما سلف القول، انعكاس للمشاكل العامة التي تعاني منها المجتمعات العربية.

ويقول المفكر المغربي الأستاذ علال الفاسي في بحث لغوي له حول (تحريف الدلالة) نشر في العدد الأول من مجلة (**اللسان العربي**): [11] "إن اللغة انبثاق من النفس ومن المجتمع، فدراسة الدلالات اللفظية تكشف عن العلاقة التي بين الكلمة وبين الفكر الذي انبثقت منه والوسط الذي ولدت فيه. وهذا ما يعطي علم الدلالة قيمة عظيمة الأهمية، إذا شئنا أن تعرف كل أمة نفسَها عن طريق لغتها الأم". ولاشك أن تحريف الدلالة المشار إليه في هذا السياق، هو من الآفات اللغوية، وهو إلى ذلك مظهرٌ لفساد اللغة الذي هو من فساد المجتمع".

---

(10) د. محمد كامل حسين، **اللغة العربية المعاصرة**، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، القاهرة 1976م.

(11) علال الفاسي، **تحريف الدلالة**، مجلة (**اللسان العربي**) العدد الأول، الرباط 1964م.

نحو جمع لغوي جديد :

ولقد أحسن الأستاذ فاروق شوشة صنعًا حين أكد الثقة في الفصحى وبشر بمستقبلها الزاهر، ودعا في كلمة له ألقاها في المقر الدائم للإيسيسكو بالرباط، إلى ما سمّاه (**جمع لغوي جديد**)، حيث قال : "لقد أدى نجاح الدور الذي قام به الإعلاميون العرب، ووسائل الإعلام جميعًا، إلى تهيئة المناخ في كثير من الدوائر اللغوية، للحديث عن الحاجة إلى جمع لغوي جديد. هذا الجمع اللغوي الجديد هو بالنسبة إلينا الآن ضرورة حياة، نواصل به ما صنعه الخليل بن أحمد في القرن الثاني الهجري، وهو يشرع في إنجاز أول معجم لغوي عربي هو "معجم العين". لقد قام الخليل صاحب العقلية الرياضية الفذة والفطرة اللغوية السليمة والحسّ اللغوي الأصيل، بما لا تقوم به اليوم إلا قاعدة بيانات ضخمة وأجهزة حاسوبية حديثة. هذا الجمع اللغوي الجديد –الذي يتطلب تعاون المؤسسات اللغوية والثقافية العربية–، هو السبيل الوحيد للتعرُّف على تطور اللغة العربية في استخداماتها الحضارية والمعرفية والاجتماعية، وفي تجلياتها الإبداعية، عبر عصور ما بعد عصر الاستشهاد، وهي العصور التي أُغلقت دونها المعاجم اللغوية فلم تتسع لهذه الذخيرة اللغوية الهائلة، وصولاً إلى معرفة الحاضر اللغوي في مجالاته الميدانية[12]".

وليس من شك في أن المشاكل اللغوية التي تشغل اهتمامات الدارسين المهتمين بقضايا اللغة العربية اليوم، تتفاوت من بيئة إلى أخرى، ولكنها تلتقي عند حاجز الصعوبة التي يجدها المتعلمون للغة

---

(12) فاروق شوشة، في كلمة له ألقاها في افتتاح اليوم الدراسي حول اللغة العربية الذي نظمته الإيسيسكو في الرباط بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية، 18 ديسمبر 2012م.

العربية من حيث الاستغراق في تعقيدات مسائل النحو والصرف على حساب الاهتمام بالتمكين للغة وتيسير فهمها والترغيب في تعلمها وتسهيل الاقتراب الوجداني منها، مما يؤدي إلى ما يمكن أن نطلق عليه (النفور من اللغة العربية)، والإعراض عن الحديث بها باستخدام العاميات التي تفرق، والتي يتاح لها أن تتغلغل وتنتشر فتحل محل اللغة الفصحى التي هي لسان العرب جميعًا والجامع لشتاتهم.

ضعف مستوى المعلم ينعكس على ضعف اللغة :

ومن المشاكل المستعصية التي تواجه اللغة العربية وتحدّ من قوتها، ضعفُ مستوى المعلم، سواء أكان في المراحل التعليمية الأولية أم الوسطى أم الجامعية. وهذا ضعفٌ مترابط الحلقات؛ ذلك أن ضعف مستوى كثير من أساتذة الجامعة في أقسام اللغة العربية وآدابها بكليات الآداب، أو في كليات التربية، ينعكس على مستوى المعلم المتخرّج من هذه الكليات والأقسام، الذي يبدأ مزاولة المهنة بقدرات هشة وببضاعة مزجاة، إذ هو لم يتلق تكوينًا تربويًا قويًا، سواء في علوم اللغة العربية، أو في العلوم الإنسانية الأخرى. وبذلك يكون التلميذ في الصفوف الأولية ضحيةً لهذا الضعف. أضف إلى ذلك الصورة المنفرة التي يقدم بها معلم اللغة العربية في السينما والمسرح والدراما التلفزيونية، فهو موظف بائس رث الهيئة قليل الحيلة يدعو للسخرية. وإذا أضفنا إلى هذه الصورة النمطية لمعلم اللغة العربية، الوضعَ الإداري والمالي الذي يعيش فيه مدرسو اللغة العربية في جلّ البلدان العربية، خصوصًا في العقود الأخيرة وحتى اليوم، نجد أنفسنا أمام نموذج قليل الخبرة في مهنته وعديم القدرة على إتقان مهنة تدريس اللغة العربية، ففاقد الشيء لا يعطيه.

وغنيٌّ عن القول إن التكوين الجيد لمعلم اللغة العربية هو الأساس في الحفاظ على صحة اللغة العربية وسلامتها واستمرارها في أداء رسالتها الثقافية والحضارية. وهذا بخلاف ما عليه الوضع في الدول الأخرى، حيث يتبوأ معلم اللغة الوطنية، المكانة اللائقة به باعتباره مؤتمنًا على عنصر مهم من عناصر الهوية الوطنية والقومية.

وأحيانًا يبدو أن ثمة إصرارًا على تقديم معلم اللغة العربية في هذه الصورة المزرية، وعلى تهميش دوره في المجتمع من الناحيتين المعنوية والمادية كراهيةً في اللغة، وتنفيرًا للناس عنها، وتمكينًا للعاميات أو للغة أجنبية تكون في الغالب الفرنسية بالنسبة لبلدان المغرب العربي، أو الإنجليزية بالنسبة لغيرها في المشرق العربي. وتلك قضية تستحق الدراسة الموسعة على مستويات عديدة، وليس على المستوى اللغوي فحسب.

ولعل التحليل العميق للأسباب المؤدية إلى هذه الحالة الشاذة، يُفضي بنا إلى الوقوف على حقيقة مؤلمة تتمثل في أن الطلاب الذين يلتحقون بأقسام اللغة العربية وآدابها في كليات الآداب، أو في كليات التربية، أو في المعاهد العليا للمعلمين وللأساتذة، في جل الأقطار العربية، يكونون في الغالب من ذوي الدرجات الضعيفة التي لا تصل بهم إلى اختيار كليات علمية وهندسية وطبّية. ولذلك نجد أن الدارسين للغة العربية في الجامعات والمعاهد العليا، هم طبقة من الطلاب الذين أُغلقت أمامهم الآفاق للدراسة في تخصصات أُخَر، فلم يجدوا سوى مهنة تعليم اللغة العربية. وهذا وضع خطير للغاية له انعكاسات سيئة

على مجمل الحياة العامة، وهو يكاد أن يكون وضعًا سائدًا في الدول العربية كافة.

وفي ظل هذه الحالة غير السوية، لا يمكن إصلاح تدريس علوم اللغة العربية، ما لم يبدأ الإصلاح من القاعدة على المدى البعيد، ومن القمة على المدى المتوسط. ونقصد بذلك أن يسير الإصلاح في خطين متوازيين؛ إصلاح مناهج تدريس اللغة العربية بدءًا من المرحلة الابتدائية، وإصلاح أوضاع مدرسي اللغة العربية بتحسين مستواهم الوظيفي والمادي والمعنوي، مع إصلاح مناهج تدريس اللغة العربية في الجامعات والمعاهد العليا من النواحي كافة، على أن يرافق ذلك إعادة تأهيل المدرسين والأساتذة، دون أن يكون في ذلك أيُّ مساس بمعنوياتهم، مع تخصيص حوافز مادية لهذه الفئة من المدرسين.

الفساد اللغوي:

إن هذا الضعف العام الذي يطبع تعليم اللغة العربية على شتى المستويات، وهذا الوضعَ غير الطبيعي الذي يسود البيئة التعليمية التي من المفترض أن تكون ملائمة لتدريس اللغة العربية بطريقة أفضل وبوسيلة أجدى وفي ظروف نفسية ومادية أحسن، هما مشكلتان من المشاكل التي تعاني منها اللغة العربية في هذه المرحلة الصعبة التي يمر بها العرب والمسلمون جميعًا. ولذلك فإن معالجة هاتين المشكلتين بما يلزم من شفافية مقرونة بالجدية والحسم، هي السبيل إلى إصلاح هذا (**الفساد اللغوي**).

كما أن الانتشار الواسع للعاميات في الحياة الثقافية والإعلامية والأدبية والفنية، يُعدّ مشكلة مستعصية على الحل، لأنها

تعكس سياسة ممنهجة لفتح المجال أمام العاميات (لكل بلد عاميتُه، بل لكل إقليم من أقاليم الدولة العربية الواحدة عاميتُه) في وسائل الإعلام، وفي الإعلانات المنشورة في الصحف والمجلات والفضائيات، والمنصوبة على الطرقات، والمبثوثة على المواقع الإلكترونية، والرائجة في المدارس والجامعات، بحيث نجد مدرسي اللغة العربية يعلمون التلاميذ بالعامية، بل نجد ما هو أدهى من ذلك، وهو استخدام المدرسين والأستاذة في أقسام اللغة العربية في كليات الآداب بالجامعات العربية، للعامية، ونجد نتيجةً لذلك كله في بعض الكليات، مناقشة الرسائل الجامعية في موضوعات اللغة العربية وآدابها، باللهجات العامية.

ورغم الانعكاسات السلبية لمزاحمة العاميات للفصحى، فإن من الباحثين من يرى في ذلك آثارًا إيجابية. فهذا الدكتور محمد الكتاني العميد الأسبق لكلية الآداب بجامعة تطوان، وعضو أكاديمية المملكة المغربية، يقول في بحث له حول دور الإعلام في النهوض باللغة العربية في الحياة المعاصرة : "إن وجود العامية إلى جانب الفصحى لم يكن أبدًا ظاهرة تهدد اللغة العربية، فقد ظلت هذه اللغة لغة الفكر والثقافة والعلوم على مر العصور، كما ظلت العاميات موجودة في كل الأقطار العربية قائمة بوظائفها الطبيعية، من غير أن تضار إحداهما بالأخرى، إن لم نقل باستفادة كل منهما من الأخرى، لأن هذه العاميات كانت تجسيدًا للعفوية اللسانية التي لا تحتاج إلى تعليم أو تكوين بين أفراد المجتمع، للتعبير عن المشاعر والأغراض اليومية، بينما ظلت العربية الفصحى لغة الفكر والعلم والأدب، أي لغة متميزة بمعجمها وضوابطها ومقومات استمرارها، محتاجة إلى التعلم والتعليم وإتقان

الضوابط التي تحفظها بين الأجيال، ناقلة للتراث الفكري والعلمي والحضاري بأمانة عبر العصور. وكل ما كان يلاحظ في هذه الازدواجية التي لا تخلو منهل لغة من اللغات، أن تضيق الفجوة بين لغة الفكر والعلم والثقافة وبين لغة الحياة اليومية حينًا، أو تتسع هذه الفجوة حينًا آخر، بحسب عوامل أخرى" [13].

ولئن كانت هذه الازدواجية ليست بذات خطر في بعض الأحيان، على النحو الذي أوضحه الباحث الدكتور محمد الكتاني، فإنها في حالات أخرى تشكل عائقًا أمام اللغة العربية، بل في أحيان كثيرة يكون الترويج لها مقصودًا من طرف خصوم الفصحى والهوية العربية الثقافية والحضارية. ففي بعض الدول العربية، يُروَّج للعاميات في وسائل الإعلام وفي الإعلانات التجارية، من أجل مزاحمة الفصحى وحصرها والتضييق عليها تمهيدًا لإقصائها. فليست إذن، الخطورة في الأمر هي ازدواجية العاميات للفصحى، فهذا من طبيعة الأشياء، ولكن الخطورة تأتي حينما تقصد هذه الازدواجية عن عمد لغرض غير سليم.

وإلى ذلك كله، نرى أن قسمًا كبيرًا من مشاكل اللغة العربية يعود إلى أسباب ذاتية، ونقصد بها ضعف همة أهلها، وقصورهم في القيام بواجبهم تجاه لغتهم التي هي لسان دينهم وعنوان هويتهم الثقافية ورمز سيادتهم الحضارية، وتفريطهم في مسؤوليتهم

---

(13) د. محمد الكتاني، ضمن كتاب (**اللغة العربية في الخطاب التشريعي والإداري والإعلامي في المغرب**)، ص 151 من منشورات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2011م.

التاريخية في الحفاظ على تراثهم وحماية وجودهم المعنوي. وإن الاستقراء الدقيق لتضاريس الخريطة اللغوية في العالم العربي، يكشف لنا عن وجود إرادة سياسية مصممة على إقصاء اللغة العربية ومزاحمتها (لا منافستها) ومحاربتها بشتى الطرق. وهي إرادة مبيتة تسعى إلى التمكين للتغريب وللغزو الفكري والثقافي السلبي (لا الغزو الإيجابي الذي يبني ولا يهدم والذي هو تلقيح وإخصاب) وللحداثة التي تمحو الهويات وتلغي الغيبيات وتقصي المقدسات. ولذلك لابد من أن نتنبّه إلى الأهداف المبطنة من وراء الدعوة إلى الترويج للعاميات على حساب الفصحى.

ولابد أن نؤكد في هذا السياق، أنه إذا كانت اللغة العربية قد انتشرت في أقطار الأرض، خلال هذه المرحلة من التاريخ، فلأن هذا الانتشار ناتج عما نسميه قوة الدفع الذاتية للغة العربية. ولذلك فإن هذا الانتشار الممتد الذي بدأ في القرن العشرين والذي يمتد إلى اليوم، لا يسير في اتجاهات مستقيمة دائمًا، ولم يكن مفيداً في جميع الأحوال، فلقد ترتبت عليه نتائج عكسية ثلاث، أرى من المفيد أن أسجلها بإيجاز فيما يلي :

أولاً: إن اللغة العربية لم تواكب هذا الانتشار بالقدر الذي يجعلها تتطور على نحو سليم، وتتجدد باستمرار، وتحافظ على نصاعتها وقوتها.

ثانيًا: إن اللغة العربية اعتراها ضعفٌ من الخارج وليس من الداخل، نتيجةً للاستخفاف بتطبيق القواعد اللغوية والتساهل الذي يبلغ درجة انتهاك قانون اللغة وتجاوز ضوابطها.

ثالثًا: إن اللغة العربية بقدر ما أصبحت لغة عالمية باعتبارها إحدى اللغات الست المعتمدة رسميًا في الأمم المتحدة وفي المنظمات التابعة لها، فهي تعاني من (ضغوط داخلية) في العالم العربي، وأخرى خارجية، منها ضغط اللغات الأجنبية، وضغط العاميات [14].

وهذا الضغط اللغوي المؤثر لا يقاوم، ويوجد من يدعمه ويقويه ويعززه من الداخل والخارج على حدّ سواء. فلا تقوى اللغة العربية في ظل هذه الضغوط، بل لنقل صراحةً في ظل هذه الحرب المشهرة ضدها، أن تردّ عنها كيد الكائدين وهم كثر، وتواجه عداء خصومها من ذوي الأطياف والأهواء والألوان.

فنحن إذن أمام مشكلة مثيرة للانتباه، تنطوي على متناقضات غريبة، لأنه في الوقت الذي من المفترض أن تتطور اللغة العربية وأن تزدهر من الداخل، اعتباراً لانتشارها واتساع نطاق الإقبال عليها من فئات اجتماعية كثيرة، يقع ما يمكن أن نسميه (التراجع اللغوي) على مستويات متعددة. وقد انعكس هذا الوضع غير الطبيعي في وسائل الإعلام، بدرجة متفاوتة من وسيلة إلى أخرى[15].

---

(14) د. عبد العزيز بن عثمان التويجري، **اللغة العربية والعولمة**، ص39، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ، الرباط، 2008م.

(15) المصدر السابق، ص 39.

العجز عن التكيّف مع متطلبات الواقع :

إن أخطر ما يمكن أن تبتلي به اللغة العربية هو العجز عن التكيف مع متطلبات الحياة، والتقصير في الاستجابة للحاجات المتجددة. والمطلوب الآن مواجهة التحدي بالإقبال على تسهيل عملية التجاوب الوظيفي والعملي أمامها، حتى يشعر أبناؤها بأنها لغتهم الطبيعية، وأنهم لا يلبسون سترة ضيقة حينما يتحدثون بها[16]. وهذا صحيح من النواحي كافة، فالعجز عن مواكبة التطورات التي تحفل بها الحياة، هو آفة معوقة للنمو الطبيعي في المجالات كافة، وليس فحسب في المجال اللغوي.

ومن الواضح أن اللغة العربية تعاني من **العجز الوظيفي**، حتى وإن كانت ذات قدرات عالية وإمكانات وافرة للتكيف مع متطلبات الحياة المعاصرة. فهذه القدرات الذاتية تحتاج إلى شحذ وصقل وتفعيل حتى تكون ذات قابلية للحركة في الاتجاه الصحيح الذي من شأنه أن يقوي اللغة ويشحنها بطاقات جديدة. فالفصحى في حاجة لكي تقوم بدورها في النهوض بالمجتمع، إلى معالجةٍ تبدأ من توسيع متنها، بتطويره في اتجاه الحياة العادية وما يمارسه المواطن في يومه وبين أهله ومجتمعه، ثم تطويره (أي المتن اللغوي) في اتجاه مستحدثات العصر وما يجدُّ فيه من اختراعات علمية وتقنية وحضارية، مما لم يعد الجهل به مقبولاً ، كما لم يعد مقبولاً أن يتم الاعتماد فيه على لغة أجنبية أو لهجة عامية[17].

---

(16) د. حسام الخطيب، **اللغة العربية : إضاءات عصرية**، ص 42، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995م.

(17) د. عباس الجراري، ضمن كتاب (**اللغة العربية في الخطاب التشريعي والإداري والإعلامي في المغرب**)، ص 36 من منشورات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2011م.

إنّ تطوير متن اللغة بحيث يواكب المتغيرات التي تشهدها الحياة المعاصرة، هو الشرط الأساس لما نسميه (تطويع اللغة) الذي هو ضربٌ من التوسيع للمجال اللغوي، بحيث يسع المفردات والمصطلحات الجديدة، ليصبح متنًا متجددًا حيويًا ومتطورًا ومندمجًا في حياة الفرد والمجتمع. وتلك هي السبيل إلى إغناء اللغة العربية ومعالجة المشاكل التي تعاني منها، والتمهيد لبحث القضايا اللغوية ذات الارتباط بثقافة الأمة وبهويتها الحضارية التي تختزل في لسانها المعبر عن روحها.

ومما لاشك فيه أن القضية المطروحة تتعدَّى النطاقَ اللغويَّ إلى مدى أبعد، إنها قضية وجود الأمة العربية الإسلامية وسيادتها، لأن نموّ اللغة من نموّ الأم، والعكس صحيح. يقول الباحث العراقي المؤرخ الدكتور عبد العزيز الدوري : "إن اللغة تنمو وتزدهر بتقدم أصحابها في الثقافة والحضارة. كما تكون اللغة عونًا على النهضة. بدأت الدراسات العربية والإسلامية بهذه اللغة، واستمرت كذلك في فترة التكوين، وصارت العربية لغة الإدارة، ثم كانت حركة الترجمة والاتصال بالثقافات الأخرى منذ القرن الثاني الهجري، مما أغناها بالأخذ والإضافة وصارت العربية لغة حضارة عامة [18] ".

وهذا هو المنهج المحكم المنسجم المتناسق الذي يتعيّن أن نعتمده للنهوض باللغة العربية نهوضًا فعليًا وليس افتراضيًا، ولردّ الاعتبار لها بصفتها الحاملة لهوية الأمة الحافظة لتراثها. ونقطة الانطلاق إلى ذلك كله، هي إيجاد المناخ العام الملائم للإصلاح اللغوي، ولحلّ المشاكل القائمة، وهو ما لا يتم إلا بإرادة قوية مصممة على العمل، وعلى شتى المستويات، من أجل لغة عربية متجددة ومتفاعلة مع العصر وأداة للبناء والنماء على قاعدة الولاء للثوابت الراسخة، والانتماء للأمة الواحدة.

(18) د. عبد العزيز الدوري، مصدر سابق، ص 212.

ملاحق

اليوم العالمي للغة العربية
ـ 18 ديسمبر ـ

أصدر المجلس التنفيذي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة ـ يونسكو ـ ، في دورته التسعين بعد المائة، القرار رقم : (190 م ت/48) بشأن اليوم العالمي للغة العربية (18 ديسمبر)، بناء على طلب من المملكة المغربية والمملكة العربية السعودية.

وفيما يلي مذكرة توضيحية بهذا الشأن :

مذكرة توضيحية حول الاِحتفال باليوم العالمي للغة العربية

1. اللغة العربية أكثر لغات المجموعة السامية استخداماً، وإحدى أكثر اللغات انتشاراً في العالم، يتحدثها أكثر من 422 مليون نسمة. ويتوزّع متحدثوها في المنطقة المعروفة باسم الوطن العربي، بالإضافة إلى العديد من المناطق الأخرى المجاورة كالأحواز وتركيا وتشاد ومالي والسنغال وإريتريا. واللغة العربية ذات أهمية قصوى لدى أتباع الديانة الإسلامية، فهي لغة مصدري التشريع الأساسَيْن في الإسلام ؛ القرآن الكريم، والأحاديث النبوية المروية عن النبي محمد، صلى اللّه عليه وسلم، ولا تتم الصلاة (وعبادات أخرى) في الإسلام إلاّ بإتقان بعض من كلماتها. والعربية هي أيضاً لغة طقسية رئيسَة لدى عدد من الكنائس المسيحية في العالم العربي. كما كتب بها عدد من أهم الأعمال الدينية والفكرية اليهودية في العصور الوسطى.

2. أثَّر انتشار الإسلام في سموّ مكانة اللغة العربية، وأصبحت لغة السياسة والعلم والأدب لقرون طويلة في الأراضي التي حكمها المسلمون. وأثرت العربية تأثيراً مباشراً أو غير مباشر، على كثير من اللغات الأخرى في العالم الإسلامي؛ كالتركية والفارسية والكردية والأوردية والماليزية والإندونيسية والألبانية وبعض اللغات الأفريقية مثل الهاوسا والسواحيلية، وبعض اللغات الأوروبية وخاصة المتوسطية منها، كالإسبانية والبرتغالية والمالطية والصقلية.

3. تدرس اللغة العربية بشكل رسمي أو غير رسمي في الدول الإسلامية والدول الإفريقية المحاذية للوطن العربي. العربية لغة رسمية في كل دول الوطن العربي، إضافة إلى كونها لغة رسمية في السنغال ومالي وتشاد وإريتريا. وهي إحدى اللغات الرسمية الست في منظومة الأمم المتحدة.

4. اللغة ليست مجرد أداة للاتصال، فهي تمثل نسيج التعبيرات الثقافية، وهي الحامل للهوية والقيم ورؤى العالم، وهي وعاء التنوع الثقافي والحوار بين الحضارات وتمد الجسور لتوثيق العلاقة بين المجتمعات وإثراء تنوع أشكال التعبير والتفاعل وتبادل الدعم والتمكين. وتقع اللغة العربية في صميم هذا التوجه بما لديها من مخزون لفظي من اللغات الأخرى، وبما تثري به ـ هي نفسها ـ هذه اللغات من تركيبات لفظية ومصطلحات.

5. يكتسي تعدد اللغات ـ بوصفه عنصراً في الاتصال المتناسق بين الشعوب ـ أهمية خاصة بالنسبة لمنظمات الأمم المتحدة، وهو إذ يشجع على الحوار والتواصل والتسامح، فإنه يكفل مشاركة فعالة ومتزايدة للجميع في سير عمل هذه المنظمات، وكذلك

فعالية أكبر ونتائج أفضل ومشاركة أكبر. وينبغي الحفاظ على تعدد اللغات وتشجيعه بإجراءات متنوعة داخل منظومة الأمم المتحدة بروح المشاركة والاتصال.

6. لقد كان التوازن بين اللغات الرسمية الست؛ أي الإنجليزية والفرنسية والعربية والإسبانية والصينية والروسية، شغلاً شاغلاً لكل الأمناء العامين لمنظمات الأمم المتحدة. واتخذت عدة إجراءات منذ عام 1946 إلى يومنا هذا، لتعزيز استعمال اللغات الرسمية حتى تكون منظومة الأمم المتحدة وأهدافها وأعمالها مفهومة لدى الجمهور على أوسع نطاق ممكن.

7. أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 18 كانون الأول/ديسمبر من عام 1973 خلال دورتها الثامنة والعشرين، القرار رقم : (د 3190/18) الذي يقضي بإدخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية ولغات العمل المقررة في الجمعية العامة ولجانها الرئيسَة، والقيام بناء عليه، بتعديل أحكام النظام الداخلي للجمعية العامة المتصلة بالموضوع. وكانت اللغة العربية معتمدة كلغة رسمية قبل ذلك التاريخ في اليونسكو، ومنظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة، ومنظمة الصحة العالمية، ومنظمة العمل الدولية، ومنظمة الوحدة الإفريقية.

8. أعلنت اليونسكو في 17 تشرين الأول/نوفمبر 1999 في الدورة الثلاثين للمؤتمر العام، يوم 21 شباط/فبراير، اليوم الدولي للغة الأم (30C/DR35) من أجل النهوض بالتنوع اللغوي والثقافي.

9. عملاً بقرار المؤتمر العام لليونسكو في دورته 33 في 20 تشرين الأول/أكتوبر 2005 (رقم 33م/51)، وبناء على رسالة موجهة

من المدير العام لليونسكو إلى الأمين العام للأمم المتحدة مؤرخة في 26 شباط/فبراير 2007 بشأن إعلان سنة 2008 سنة دولية للغات، قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 16 أيار/مايو 2007 إعلان سنة 2008 سنة دولية للغات بموجب القرار رقم (A/RES/61/266).

10. في إطار دعم وتعزيز تعدد اللغات وتعدد الثقافات في منظومة الأمم المتحدة، اعتمدت إدارة الأمم المتحدة لشؤون الإعلام قراراً بتاريخ 19 شباط/فبراير 2010 يحمل الرقم (OBV/853 PI/1926) عشية الاحتفال **باليوم الدولي للغة الأم**، والذي يقع في 21 شباط/فبراير من كل عام، يقضي بالعمل على الاحتفال بيوم عالمي لكلّ لغة من اللغات الرسمية الست للأمم المتحدة. وحدّدت الأيام الدولية للغات على النحو التالي :

- الاحتفال بيوم اللغة الفرنسية (اليوم الدولي للفرانكفونية) في 20 آذار/مارس ؛
- الاحتفال بيوم اللغة الصينية (تخليداً لذكرى سانج جيه مؤسس الأبجدية الصينية) في 20 نيسان/أبريل ؛
- الاحتفال بيوم اللغة الإنجليزية (الذكرى السنوية لوفاة الكاتب الإنجليزي ويليام شيكسبير) في 23 نيسان/أبريل ؛
- الاحتفال بيوم اللغة الروسية (الذكرى السنوية لميلاد الشاعر الروسي الكسندر بوشكين) في 6 حزيران/يونيو ؛
- الاحتفال بيوم اللغة الإسبانية (ذكرى يوم الثقافة الإسبانية) في 21 تشرين الأول/أكتوبر ؛
- الاحتفال بيوم اللغة العربية (يوم إدخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية للأمم المتحدة) في 18 كانون الأول/ديسمبر.

ففي يوم 1973/12/18 صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم : (د 28 3190) يقضي بإدخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية ولغات العمل في الأمم المتحدة.

11. إنَّ الغرض من الاِحتفال بأي يوم من أيام اللغات الست، هو زيادة الوعي بين الدول الأعضاء ومنظومة الأمم المتحدة وموظفيها، بتاريخ كل من هذه اللغات وثقافاتها وتطورها. ولكل المتحدثين بأي من هذه اللغات، إعداد برنامج أنشطة لليوم الخاص بها، بما في ذلك دعوة شعراء وكتاب وأدباء معروفين للمشاركة في الاحتفالية. بالإضافة إلى تطوير مواد إعلامية متعلقة بالحدث. واللغة العربية ليست استثناء من ذلك.

12. إنَّ الاحتفال بيوم أي لغة من خلال فرق العزف الموسيقية والقراءات الأدبية والمسابقات التنافسية وإقامة المعارض الثقافية والمحاضرات والعروض الفنية والمسرحية والشعبية وخلق مناسبات للتعرف على المخزون الثقافي والاجتماعي لتلك اللغة، هو تعبير عن التنوع الثقافي للدول الناطقة بها، وفرصة لاستكشاف المزيد عن اللغة وأثرها في الحضارة الإنسانية.

13. إنَّ المجموعة العربية لدى اليونسكو ستعمل على تمويل الأنشطة المتعلقة بالاحتفال باليوم العالمي للغة العربية، وبالتالي لن يرتب القرار المستهدف أي التزامات مالية على المنظمة.

القرار المقترح

14. على ضوء ما تقدم، قد يرغب المجلس التنفيذي في اعتماد مشروع القرار التالي :

إنَّ المجلس التنفيذي،

1. **إذ يدرك** ما للغة العربية من دور وإسهام في حفظ ونشر حضارة الإنسان وثقافته،

2. و**يدرك أيضاً** أن اللغة العربية هي لغة اثنتين وعشرين دولة من الدول الأعضاء في اليونسكو، وهي لغة رسمية في المنظمة ويتحدث بها ما يزيد عن 422 مليون عربي، ويحتاج إلى استعمالها أكثر من مليار ونصف مليار من المسلمين،

3. و**يتفهم** ضرورة تحقيق تعاون أوسع نطاقاً بين الشعوب من خلال التعدد اللغوي والتقارب الثقافي والحوار الحضاري بما ينسجم مع ما ورد في ميثاق اليونسكو،

4. و**يذكّر** بالقرار : 3190 (د ـ 28) الذي اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثامنة والعشرين بتاريخ /1973/12 18 والقاضي باعتماد اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية ولغات العمل في الجمعية العامة ولجانها الرئيسَة،

5. و**يرحب** بالقرار الصادر عن الذي اعتمدته إدارة الأمم المتحدة لشؤون الإعلام في 19 شباط/فبراير 2010 بموجب الوثيقة OBV/853-PI-1926، الذي يقضي بالاِحتفال بالأيام الدولية للغات الرسمية الست في الأمم المتحدة، والذي يحدد يوم 18 كانون الأول/ديسمبر يوماً عالمياً للغة العربية،

6. و**يقدر** ما قدمته الدول العربية وتلك التي تتخذ العربية لغة رسمية، من تأكيدات لحفظ وصون هذه اللغة والاحتفاء بها،

7. **يدعو** المديرة العامة إلى إدراج اليوم العالمي للغة العربية الموافق 18 كانون الأول/ديسمبر من كلّ عام ضمن الأيام الدولية التي تحتفل بها اليونسكو.

في افتتاح :
اليوم الدراسي حول اللغة العربية(*)
(بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية)
ـ 18 ديسمبر ـ

يسعدني أن أتحدث إليكم في افتتاح هذا اليوم الدراسي الذي تنظمه المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة –إيسيسكو–، بمناسبة (**اليوم العالمي للغة العربية**) الذي أعلنته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة ـ يونسكو ـ في قرار مجلسها التنفيذي في دورته التسعين بعد المائة.

إن هذا التقدير الدولي للغة العربية وما لها من مكانة واعتبار، يتيح لنا الفرصة لتدارس قضايا اللغة العربية، وبحث النهوض بها وجعلها قادرة على تجاوز المشكلات التي تواجهها، ومواكبة المستجدات والتكيف مع المتغيرات.

لقد جاء في قرار منظمة اليونسكو ما يلي :

"إن المجلس التنفيذي، إذ يدرك ما للغة العربية من دور وإسهام في حفظ ونشر حضارة الإنسان وثقافته، ويدرك أيضاً، أن اللغة العربية هي لغة اثنتين وعشرين دولة من الدول الأعضاء في اليونسكو، وهي لغة رسمية في المنظمة، ويتحدث بها ما يزيد عن

(*)كلمة ألقيت في افتتاح اليوم الدراسي الذي أقيم في المقر الدائم للإيسيسكو يوم 18 ديسمبر 2012م.

422 مليون عربي، ويحتاج إلى استعمالها أكثر من مليار ونـــصف مليار من المسلمين، ويتفهم ضرورة تحقيق تعاون أوسع نطاقاً بين الشعوب من خلال التعدد اللغوي والتقارب الثقافي والحوار الحضاري، بما ينسجم مع ما ورد في ميثاق اليونسكو، ويقدر ما قدمته الدول العربية وتلك التي تتخذ العربية لغةً رسمية من تأكيدات لحفظ وصون هذه اللغة والاحتفاء بها، يدعو المديرة العامة إلى إدراج اليوم العالمي للغة العربية الموافق بـ 18ديسمبر من كل عام، ضمن الأيام الدولية التي تحتفل بها اليونسكو".

ولذلك حرصنا في المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، على تنظيم هذا اليوم الدراسي، مشاركةً من الإيسيسكو في الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية، الذي هو في الواقع، يومٌ يهمنا نحن في المقام الأول قبل غيرنا؛ **فالعربية لغتنا، نحن أهلها، وهي لغة القرآن الكريم ولغة الإسلام الذي يجمعنا، ولغة الثقافة، ولغة التراث الأدبي والفكري والعلمي العربي الإسلامي الحافل بالمجد والتألق والازدهار، ولغة الهوية الحضارية للعرب مسلميهم ومسيحييهم، وللمسلمين قاطبة في أقطار الأرض**، بها يتعبدون ربهم ويقرأون القرآن الكريم، ويتدبرون آياته.

ونحن إذ نؤكد الأهمية الكبرى للغة العربية في حياتنا، ونشدد على ضرورة مضاعفة الجهد للارتقاء بها، تطويراً لبنيتها، وتجديداً لقواعدها، وإغناءً لمفرداتها حتى تتلاءم مع مقتضيات التحديث، وتستجيب لمتطلبات التغيير، وتكون في مستوى مسايرة العصر، فإننا ندرك جيداً وبعمق، خطورة التحديات التي تواجه اللغة العربية، ونقرّ

بأننا مقصرون حتى الآن، في مواجهة هذه التحديات بما يلزم من مراجعات علمية وحلول عملية للمشكلات اللغوية القائمة.

إن مجامع اللغة العربية التي بلغت حالياً ثمانية مجامع، تبذل جهوداً مقدرة في النهوض باللغة العربية، تيسيرًا لنحوها، وتطويراً لبنيتها. ويأتي في مقدمة المجامع اللغوية، مجمع اللغة العربية في القاهرة، الذي يمثله هنا أمينه العام والذي هو أيضًا الأمين العام لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، الشاعر المبدع والإعلامي الكبير الأستاذ فاروق شوشة، الذي يسعدني أن أرحّب به في المقر الدائم للإيسيسكو، وهو الزميل الذي أعتز برفقته في مجمع اللغة العربية في القاهرة الذي أشرف بانتسابي إليه عضواً مراسلاً.

وليس من شك أن إصلاح أحوال اللغة العربية على نحو شامل، هو فوق مستطاع مجامع اللغة العربية. لأن هذا الإصلاح، الذي نعبر عنه اليوم، بالنهوض باللغة العربية، هو مسؤولية جماعية ومهمة مشتركة بين جهات كثيرة، أذكر من بينها وزارات التربية والتعليم، والتعليم العالي، والثقافة، والأوقاف والشؤون الإسلامية، والإعلام والاتصال، بل لابد من أن أذكر في طليعة هذه الجهات جميعًا، البرلمانات والمجالس التشريعية عمومًا، التي يفترض أن تسن قوانين تقضي بالحفاظ على سلامة اللغة العربية، وبإنزالها المنزلة التي تستحقها في الحياة العامة، كما تقضي بالمتابعة القانونية لكل من يسيء إلى اللغة العربية بأي شكل من أشكال الإساءة، أو يجور عليها بالتقليل من أهميتها أو بإقصائها أو تهميشها أو تجاوزها بالإهمال. **فحماية اللغة العربية يجب أن يكون عملاً من أعمال السيادة**

بالمدلول العميق؛ لأن الحفاظ عليها حماية للأمن القومي، بالمفهوم الثقافي والحضاري الواسع للأمن.

وباعتبار أن اللغة العربية قضية استراتيجية في المقام الأول، تمس الأمن الثقافي والحضاري للأمة، فإن المسألة، في عمقها وجوهرها، تتطلب يقظة أشمل وأعمق، وحركة أكبر وأنشط، وعملاً أكثر جدية وفعالية، في إطار من التنسيق والتكامل والتعاون على مستوى الحكومات، وعلى مستوى المنظمات والمؤسسات والجامعات والهيئات المختصة. ولعل هذا ما سيكون موضع تدارس ومناقشة في هذا اليوم الدراسي.

إن تيسير تعلم اللغة العربية، والحفاظ على مستواها من التدني والابتذال، وترغيب الناس فيها، وتوسيع نطاق استعمالها بنشرها بين المجتمعات الناطقة بغيرها من اللغات، كل ذلك هو من أوجب الواجبات التي يتعيّن علينا القيام بها، كل من موقعه. إذ لا يكفي أن نحتفي باليوم العالمي للغة العربية، بأي شكل من أشكال الاحتفاء، ثم تمر المناسبة دون أن نكون قد قمنا بالعمل الذي من شأنه أن يحقق الأهداف، وأن يمكن للغة الضاد في الحياة العامة. وإنما يتوجب علينا أن نبحث في المشاكل التي تعاني منها لغتنا، وهي مشاكل كثيرة، وأن نتعامل مع التحديات، بما يلزم من جدية وفعالية ووعي حضاري، حتى نتجاوز مخاطرها، ونتغلب على الصعاب الناتجة عنها، بمنهج علمي سليم يجمع بين مقومات المناهج العلمية التي تعتمدها المجامع اللغوية والكليات الجامعية المتخصصة، وبين مقتضيات العمل الإعلامي المهني، على تعدد اختصاصاته، الذي له تأثيره القوي في نشر اللغة،

سليمةً كانت أو معتلة، وإن كانت اللغة المعتلة الضعيفة، مع الأسف الشديد، هي أكثرَ انتشاراً اليوم في وسائل الإعلام العربي.

يسعدني أن أجدّد الترحيب بكم، وأن أتقدم بالشكر إلى منظمة اليونسكو التي اعتمدت القرار الخاص بـ (**اليوم العالمي للغة العربية**). وأسأل الله تعالى أن يوفقنا ويلهمنا الحكمة والرشاد في القول والعمل لخدمة لغتنا الجميلة، ولخدمة الأهداف الإنسانية في تعزيز التعدد اللغوي، والتقارب الثقافي، والحوار الحضاري.